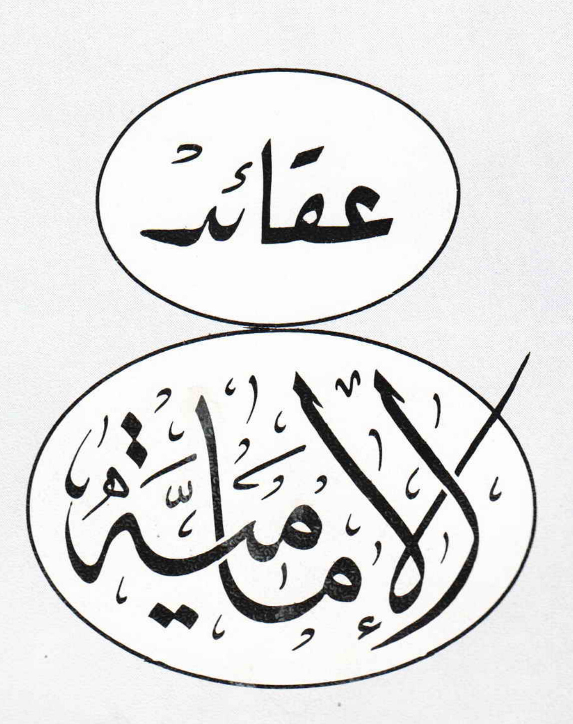
الشيخ محمد رضا المظفر



عقائد الإمامية



المغفور لـــه

الشيخ محمد رضا المظفر

رحمة الله عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين

الكتاب

لـم يـفـتح المسلمون أعينهم ــ بعد فترة السبات الطويلة ــ على مشكلة أكبر من مشكلة الخلافات الطائفية. فقد كادت هذه المشكلة أن تذهب بكل أمل في وحدة صف المسلمين وتوحيد كلمتهم. ولولا أن في المسلمين من كان يحرص على وحدة وجود هذه الأمة من شيعة وسنة، و يعمل في تبديد الخلافات وإلقاء الأضواء الكاشفة على الأيدي التي تعمل في خفاء لتمزيق شمل الأمة لكانت هذه المشكلة تتحول في حياة الأمة الإسلامية إلى كارثة.

ولقد كانت إثارة الخلافات بين الطوائف والمذاهب الإسلامية غاية، من دون ريب، لأعداء الإسلام، الذين كانوا يتربصون الدوائر بهذا الدين و بهذه الأمة.

ولم يكن من اليسير تفويت الفرصة عليهم، فقد كانت هذه الأجهزة المعادية للإسلام تعرف نقاط الضعف، عن خبرة، في المجتمع الإسلامي، وتعرف كيف تثير الخلاف، وكيف تلهي المسلمين بما يدور بينهم من إختلاف في الرأي، تستثمر الفرصة لتمشية مشاريعها بشكل أو بآخر.

وقد لوحظ أن أعداء الإسلام يعملون في اتجاهين اثنين للقضاء على وجود هذه الأمة، وتمييعها من الخارج ومن الداخل معاً.

فمن الخارج بدأ أعداء الإسلام بتطويق العالم الإسلامي

بسيل من الأفكار والمذاهب المستوردة، التي كان لها التأثير المباشر على الناحية العقائدية والفكرية عند قطاعات من هذه الأمة.

ومن الداخل كانوا يعملون في إيجاد فجوات داخلية بين صفوف المسلمين وإثارة خلافات داخلية بينهم، بأشكال وصور مختلفة، لا نريد الدخول في تفاصيلها.

وكان هذا التخطيط المزدوج يكفي وحده لتمييع كيان هذه الأمة والقضاء على صلابتها وقوتها وتماسكها.. لولا أن الله تعالى قيّض لهذه الأمة طلائع واعية أدركت خطورة الموقف، ووعت بعمق، الأهداف البعيدة لأعداء الإسلام في تشويه معالم الفكر الإسلامي، وتطويق العالم الإسلامي بتيارات متضاربة من الفكر، وتمزيق شمل الأمة وتماسكها، فتصدت لذلك كله بقوة وشجاعة وإخلاص.

فكان العمل في هذا المجال في إتجاهين، في إبراز الصورة الأصيلة المشرقة لهذا الدين، في وضوحه وأصالته وعمقه، وفي الدعوة إلى توحيد الكلمة ووحدة الصف.

وفي هذا الاتجاه الأخير، وهو المعنّي بالكلام في هذا التقديم لم تكن هذه الدعوة وحدها كافية، لو كانت تفقد مقوماتها وقواعدها الصحيحة.

فلا تكفي الدعوة الى توحيد الكلمة ووحدة الصف، إن لم يكن يسبق ذلك تفاهم شامل وصحيح بين المذاهب الاسلامية وعلى أيدي مخلصة وعالمة، تطمئن الأمة إلى سلامتها ووعيها.

فليس من ريب أن كثيراً من الخلاف كان ينشأ بين المسلمين نتيجة لعدم وجود تفاهم وتعارف قائم على أصول صحيحة بين هذه الطوائف.

وكانت تلك هي الفرصة الذهبية التي كان يطلبها أعداء الإسلام لإثارة المشاكل والمتاعب بين المسلمين.

ولربما لم تتعرض طائفة لمثل هذه المتاعب والتهم، كما تعرضت لها الطائفة الإسلامية الشيعية المؤمنة على امتداد تاريخها الطويل.

ولئن كنا نسيء الظن بالأيدي التي كانت تعمل لنشر هذه الأساطير عن الشيعة الإمامية بين صفوف المسلمين فلا نشك أن جهل المسلمين بهذه الطائفة الإسلامية المجاهدة كان له بعض التأثير في رواج هذه التهم التي تشبه الأساطير في أكثر الأحيان.

ولذلك فقد إهتم جمع من أعلام المسلمين بإعداد دراسات عن الطوائف الإسلامية وإعطاء صورة واضحة عن هذه المذاهب والطوائف بإخلاص، وعن مصادرها الرئيسية، لتفويت الفرصة على مثيري الشغب والفتنة بين المسلمين.

وكان من بين هذه الدراسات الكتاب الذي بين أيدينا، والذي يتناول الشيعة الإمامية عقيدة وفكرة بصورة واضحة وميسرة. وهو من خير ما أُلف في التعريف بهذه الطائفة، وفي تحديد معالم التشيع وأصوله الفكرية.

نرجو أن يكون مرجعاً لأصحاب الدراسات المتعلقة بالموضوع، وأن يكون باباً من أبواب التفاهم والتعارف بين المسلمين، وأن يقرأه كل مسلم يهمه أمر وحدة الكلمة ورصّ الصف، والله سبحانه وتعالى من وراء القصد.



مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً وشكراً وصلاة وسلاماً على محمد خير البشر وآله الهداة.

أمليت هذه (المعتقدات)، وما كان القصد منها الا تسجيل خلاصة ما توصلت إليه من فهم المعتقدات الإسلامية على طريقة آل البيت (ع).

وقد سجلت هذه الخلاصة مجردة عن الدليل والبرهان، ومجردة عن النصوص الواردة عن الأئمة فيها على الأكثر، لينتفع بها المبتدئ والمتعلم والعالم، وأسميتها (عقائد الشيعة) وغرضي من الشيعة (الإمامية الأثنى عشرية) خاصة.

وكان إملاؤها سنة ١٣٦٣هـ بدافع إلقائها محاضرات دورية في كلية منتدى النشر الدينية، للاستفادة منها تمهيداً للأبحاث الكلامية العالية. وفي حينه قد توقفت لإلقاء الكثير منها. وما كنت يومئذ قد أعددتها مؤلفا ينشر و يقرأ، فأهملت في أوراق مبعثرة شأن كثير من المحاضرات والدروس التي أمليتها في تلك الظروف، لاسيما فيما يتعلق بالعقائد وعلم الكلام.

غير أنه في هذا العام وبعد مضي ثماني سنوات عليها، رغب الى

الفاضل النبيل محمد كاظم الكتبي ــ رعاه الله تعالى ــ في تجديد النظر فيها وجمعها مؤلفة في رسالة مختصرة موصولة الحلقات، لغرض نشرها وتعميم الفائدة منها ولتدرأ كثيراً من الطعون التي ألصقت بالإمامية، ولاسيما ان بعض كتاب العصر في مصر وغيرها لازالوا مستمرين يحملون بأقلامهم الحملات القاسية على الشيعة ومتعقداتها، جهلاً أو تجاهلاً بطريقة آل البيت (ع) في مسالكهم الدينية. وبهذا قد جمعوا الى ظلم الحق وإشاعة الجهل بين قراء كتبهم، الدعوة الى تفرق كلمة المسلمين وإثارة الضغائن في نفوسهم والأحقاد في قلوبهم، بل تأليب بعضهم على بعض.. ولا يجهل خبير مقدار الحاجة ــ اليوم خاصة ــ الى التقريب بين جماعات المسلمين المختلفة ودفن أحقادهم، إن لم نستطع أن نوحد صفوفهم وجمعهم تحت راية واحدة.

أقول ذلك، وإنني لشاعر مع الأسف أنَّا لانستطيع أن نصنع شيئاً بهذه المحاولات مع من جرَّبنا من هؤلاء الكتاب كالدكتور أحمد أمين وأضرابه من دعاة التفرقة، فما زادهم توضيح معتقدات الإمامية إلا عناداً وتنبيههم على خطأهم إلا لجاجاً.

وما يهمنا من هؤلاء وغير هؤلاء أن يستمروا على عنادهم مصرين، لولا خشية أن ينخدع بهم المغفلون فتنطلي عليهم تلك التخرصات، وتورِّطهم تلك التهجمات في اثارة الأحقاد والحزازات.

ومهما كان الأمر، فاني في تقديمي هذه الرسالة للنشر أملي أن

يكون فيها ماينفع الطالب للحق، فأكون قد ساهمت في خدمة إسلامية نافعة، بل خدمة إنسانية عامة، فوضعتها في مقدمة وفصول، ومنه تعالى وحده أستمد التوفيق.

النجف الأشرف ــ العراق
٢٧ جمادي الآخرة ١٣٧٠هـ

محمد رضا المظفر

مقدمة الطبعة الثانية :

بسم الله الرحمن الرحيم

مضى على صدور هذا «الكتيب» عشر سنوات، ولم أجد في هذه الأعوام مايدعوني الى تبديل رأيي فيه من أنه جاء وفق متطلبات الحاجة العامة من توضيح معتقدات الشيعة الامامية وتثبيتها.

بل وجدت ما يشجعني على الموافقة على إعادة نشره مرة أخرى، آملاً أن يكون قد أصاب الهدف وأدى الغرض من محاولة رفع الغيوم المتلبدة التي حجبت طويلا بين الطائفتين الاسلاميتين الكبيرتين: أهل السنة والشيعة، ومن محاولة نفض الغبار عما خلفه الماضي السحيق على العقائد الاسلامية الصحيحة.

وإنى لواثق بأن فكرة «التقريب بين المذاهب» أصبحت اليوم حاجة ملحة وهدفاً رفيعاً لكل مسلم غيور على الاسلام، مهما كانت نزعته المذهبية ورأيه في المخلفات العقائدية، وليس شيء أفضل في التقريب من تولّي أهل كل عقيدة أنفسهم كشف دفائنها وحقائقها.

وهذه الطريقة ـ فيما أعتقد ـ أسلم في إعطاء الفكرة الصحيحة عن المذهب، وأقرب الى فهم الصواب من الرأي الذي يعتنقة جماعته.

وإجابة لرغبة قرة عيني العامل في سبيل الله الفاضل السيد

مرتضى الكشميري ــ فقد أعدت النظر في هذه الرسالة، وأدخلت عليها بعض التنقيحات والاضافات التي سمح بها الوقت المزدحم بالمشاكل، مع تصحيح ما وقع في الطبعة الأولى من هفوات مطبعية وغير مطبعية، لأقدّمها مرة أخرى الى المطبعة، راجياً من الله تعالى أن يحقق فيها الغرض المرجو، وأن يوفقنا لالتماس سبيل الصواب وإصابة الحق، إنه خير مسؤول.

٢١ ــ شوال سنة ١٣٨٠

المؤلف

المقدمة
في الاجتهاد والتقليد



١ ـ عقيدتنا في النظر والمعرفة

نعتقد أن الله تعالى لما منحنا قوة التفكير ، ووهب لنا العقل ، أمرنا أن نتفكر في خلقه وننظر بالتأمل في آثار صنعه ، ونتدبر في حكمته وإتقان تدبيره في آياته في الآفاق وفي أنفسنا . قال تعالى : (سنريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) .

وقد ذم المقلدين لآبائهم بقوله تعالى : (قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً) . كما ذم من يتبع ظنونه ورجمه بالغيب فقال : (إن يتبعون إلا الظن) .

وفي الحقيقة إن الذي نعتقده أن عقولنا هي التي فرضت علينا النظر في الخلق ومعرفة خالق الكون ، كما فرضت علينا النظر في دعوى من يدعي النبوة وفي معجزته . ولا يصح عندها تقليد الغير في ذلك ، مهما تكن لذلك الغير منزلة وأثر . وما جاء في القرآن الكريم من الحث على التفكير وإتباع العلم والمعرفة ، فإنما جاء مقرراً لهذه الحرية الفطرية في العقول التي تطابقت عليها آراء العقلاء ، وجاء منبهاً للنفوس على ما جبلت عليها من الاستعداد للمعرفة والتفكير ، ومفتحاً للأذهان وموجهاً لها على ما تقتضيه طبيعة العقول .

فلا يصح ـ والحال هذه ـ أن يهمل الإنسان نفسه في الأمور الإعتقادية أو يتكل على تقليد المربين أو أي أشخاص آخرين ، بل يجب عليه بحسب الفطرة العقلية المؤيدة بالنصوص القرآنية أن يفحص ويتأمل وينظر ويتدبر في أصول إعتقاداته[1] المسماة بأصول الدين ، التي أهمها التوحيد والنبوة والامامة والمعاد . ومن قلد آباءه أو نحوهم في إعتقاد هذه الأصول فقد إرتكب شططاً وزاغ عن الصراط المستقيم ، ولا يكون معذوراً أبداً .

وبالاختصار عندنا هنا إدعاءان :

الأول : وجوب النظر والمعرفة في أصول العقائد ، ولا يجوز تقليد الغير فيها .

الثاني : إن هذا وجوب عقلي قبل أن يكون وجوباً شرعياً ، أي لا يستقى علمه من النصوص الدينية ، وإن كان يصح أن يكون مؤيداً بها بعد دلالة العقل .

وليس معنى الوجوب العقلي إلا إدراك العقل لضرورة المعرفة ولزوم التفكير والاجتهاد في أصول الإعتقادات .

* * *

---

(١) ليس كل ما ذكر في هذه الرسالة هو من أصول الاعتقادات ، فإن كثيراً من الاعتقادات المذكورة كالقضاء والقدر والرجعة وغيرهما لا يجب فيها الاعتقاد ولا النظر ، ويجوز الرجوع فيها إلى الغير المعلوم صحة قوله كالأنبياء والأئمة ، وكثير من الاعتقادات من هذا القبيل كان إعتقادنا فيها مستنداً إلى ما هو المأثور عن أئمتنا من صحيح الأثر القطعي .

٢ ـ عقيدتنا في التقليد بالفروع

أما فروع الدين ، وهي أحكام الشريعة المتعلقة بالأعمال ، فلا يجب فيها النظر والإجتهاد ، بل يجب فيها ـ إذا لم تكن من الضروريات في الدين الثابتة بالقطع كوجوب الصلاة والصوم والزكاة ـ أحد أمور ثلاثة : أما أن يجتهد المكلف وينظر في أدلة الأحكام إذا كان أهلاً لذلك ، وأما أن يحتاط في أعماله إذا كان يسعه الإحتياط ، وإما أن يقلد المجتهد الجامع للشرائط بأن يكون من يقلده عاقلاً عادلاً (صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه) .

فمن لم يكن مجتهداً ولا محتاطاً ، ثم لم يقلد المجتهد الجامع للشرائط ، فجميع عباداته باطلة لا تقبل منه . وإن صلى وصام وتعبد طول عمره . إلا إذا وافق عمله رأى من يقلده بعد ذلك ، وقد إتفق له أن عمله جاء بقصد القربة إلى الله تعالى .

* * *

٣ ـ عقيدتنا في الاجتهاد

نعتقد أن الاجتهاد في الأحكام الفرعية واجب بالوجوب الكفائي على جميع المسلمين في عصور غيبة الامام ، بمعنى أنه يجب على كل مسلم في كل عصر . ولكن إذا نهض به من به الغنى والكفاية سقط عن باقي المسلمين ، ويكتفون بمن تصدى لتحصيله

وحصل على رتبة الاجتهاد وهو جامع للشرائط ، فيقلدونه ويرجعون إليه في فروع دينهم .

ففي كل عصر يجب أن ينظر المسلمون إلى أنفسهم ، فإن وجدوا من بينهم من تبرع بنفسه وحصل على رتبة الاجتهاد التي لا ينالها إلا ذو حظ عظيم ، وكان جامعاً للشرائط التي تؤهله للتقليد ، إكتفوا به وقلدوه ورجعوا إليه في معرفة أحكام دينهم ، وإن لم يجدوا من له هذه المنزلة وجب عليهم أن يحصل كل واحد على رتبة الاجتهاد أو يهيئوا من بينهم من يتفرغ لنيل هذه الرتبة حيث يتعذر عليهم جميعاً السعي لهذا الأمر أو يتعسر ، ولا يجوز لهم أن يقلدوا من مات من المجتهدين .

والاجتهاد هو النظر في الأدلة الشرعية لتحصيل معرفة الأحكام الفرعية التي جاء بها سيد المرسلين ، وهي لا تتبدل ولا تتغير بتغير الزمان والأحوال (حلال محمد حلال إلى يوم القيامة ، وحرامه حرام إلى يوم القيامة) . والأدلة الشرعية هي الكتاب الكريم والسنّة والاجماع والعقل على التفصيل المذكور في كتب أصول الفقه .

وتحصيل رتبة الاجتهاد يحتاج إلى كثير من المعارف والعلوم التي لا تتهيأ إلا لمن جد وإجتهد وفرغ نفسه وبذل وسعه لتحصيلها .

* * *

٤ ـ عقيدتنا في المجتهد

وعقيدتنا في المجتهد الجامع للشرائط انه نائب للامام عليه السلام في حال غيبته ، وهو الحاكم والرئيس المطلق ، له ما للامام في الفصل في القضايا والحكومة بين الناس ، والراد عليه راد على الامام ، والراد على الامام راد على الله تعالى ، وهو على حد الشرك بالله كما جاء في الحديث عن صادق آل البيت عليهم السلام .

فليس المجتهد الجامع للشرائط مرجعاً في الفتيا فقط ، بل له الولاية العامة ، فيرجع إليه في الحكم والفصل والقضاء ، وذلك من مختصاته لا يجوز لأحد أن يتولاها دونه ، إلا بإذنه ، كما لا تجوز إقامة الحدود والتعزيزات إلا بأمره وحكمه .

ويرجع إليه أيضاً في الأموال التي هي من حقوق الامام ومختصاته .

وهذه المنزلة أو الرئاسة العامة أعطاها الامام عليه السلام للمجتهد الجامع للشرائط ، ليكون نائباً عنه في حال الغيبة ، ولذلك يسمى (نائب الامام) .

* * *

الفصل الأول

الإلهيات

٥ ـ عقيدتنا في الله تعالى

نعتقد أن الله تعالى واحد أحد ليس كمثله شيء ، قديم لم يزل ولا يزال ، هو الأول والآخر ، عليم حكيم عادل حي قادر غني سميع بصير . ولا يوصف بما توصف به المخلوقات ، فليس هو بجسم ولا صورة ، وليس جوهراً ولا عرضاً ، وليس له ثقل أو خفة ، ولا حركة أو سكون ، ولا مكان ولا زمان ، ولا يشار إليه . كما لا ند له ، ولا شبه ، ولا ضد ، ولا صاحبة له ولا ولد ، ولا شريك ، ولم يكن له كفواً أحد . لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار .

ومن قال بالتشبيه في خلقه بأن صور له وجهاً ويداً وعيناً ، أو أنه ينزل إلى السماء الدنيا ، أو أنه يظهر إلى أهل الجنة كالقمر (أو نحو ذلك) ، فإنه بمنزلة الكافر به جاهل بحقيقة الخالق المنزه عن النقص ، بل كل ما ميزناه بأوهامنا في أدق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلنا مردود إلينا (على حد تعبير الامام الباقر عليه السلام) ، وما أجله من تعبير حكيم ! وما أبعده من مرمى علمي دقيق !

وكذلك يلحق بالكافر من قال إنه يتراءى لخلقه يوم القيامة ، وإن نفى عنه التشبيه بالجسم ، فإن أمثال هؤلاء المدعين جمدوا على ظواهر الألفاظ في القرآن الكريم أو الحديث ، وأنكروا عقولهم وتركوها وراء ظهورهم ، فلم يستطيعوا أن يتصرفوا بالظواهر حسبما يقتضيه النظر والدليل وقواعد الإستعارة والمجاز .

* * *

٦ ـ عقيدتنا في التوحيد

ونعتقد بأنه يجب توحيد الله تعالى من جميع الجهات ، فكما يجب توحيده في الذات ونعتقد بأنه واحد في ذاته ووجوب وجوده ، كذلك يجب ـ ثانياً ـ توحيده في الصفات ، وذلك بالاعتقاد بأن صفاته عين ذاته كما سيأتي بيان ذلك . وبالاعتقاد بأنه لا شبه له في صفاته الذاتية . فهو في العلم والقدرة لا نظير له ، وفي الخلق والرزق لا شريك له ، وفي كل كمال لا ند له .

وكذلك يجب ـ ثالثاً ـ توحيده في العبادة ، فلا تجوز عبادة غيره بوجه من الوجوه . وكذا إشراكه في العبادة في أي نوع من أنواع العبادة ، واجبة أو غير واجبة ، في الصلاة أو غيرها من العبادات . ومن أشرك في العبادة غيره فهو مشرك ، كمن يرائي في عبادته ويتقرب إلى غير الله تعالى ، وحكمه حكم من يعبد الأصنام والأوثان . . لا فرق بينهما .

أما زيارة القبور وإقامة المآتم ، فليست هي من نوع التقرب

إلى غير الله تعالى في العبادة ، كما توهمه بعض من يريد الطعن في طريقة الامامية ، غفلة عن حقيقة الحال فيها ، بل هي من نوع التقرب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة ، كالتقرب إليه بعيادة المريض وتشييع الجنائز وزيارة الأخوان في الدين ومواساة الفقير ، فإن عيادة المريض - مثلاً - في نفسها عمل صالح يتقرب به العبد إلى الله تعالى . وليس هو تقرباً إلى المريض يوجب أن يجعل عمله عبادة لغير الله تعالى أو الشرك في عبادته . وكذلك باقي أمثال هذه الأعمال الصالحة التي منها زيارة القبور وإقامة المآتم وتشييع الجنائز وزيارة الأخوان .

أما كون زيارة القبور وإقامة المآتم من الأعمال الصالحة الشرعية ، فذلك يثبت في علم الفقه ، وليس هنا موضع إثباته . والغرض إن إقامة هذه الأعمال ليست من نوع الشرك في العبادة كما يتوهمه البعض ، وليس المقصود منها عبادة الأئمة ، وإنما المقصود منها إحياء أمرهم ، وتجديد ذكرهم ، وتعظيم شعائر الله فيهم (ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) .

فكل هذه أعمال صالحة ثبت من الشرع إستحبابها . فإذا جاء الإنسان متقرباً بها إلى الله تعالى طالباً مرضاته ، إستحق الثواب منه ونال جزاءه .

* * *

٧ ـ عقيدتنا في صفاته تعالى

ونعتقد أن صفاته تعالى الثبوتية : الحقيقية الكمالية التي تسمى بصفات (الجمال والكمال) ، كالعلم والقدرة والغنى والارادة والحياة ، هي كلها عين ذاته وليست هي صفات زائدة عليها . وليس وجودها إلا وجود الذات ، فقدرته من حيث الوجود حياته ، وحياته قدرته ، بل هو قادر من حيث هو حي ، وحي من حيث هو قادر ، لا أثنينية في صفاته ووجودها . وهكذا الحال في سائر صفاته الكمالية .

نعم هي مختلفة في معانيها ومفاهيمها ، لا في حقائقها ووجوداتها ، لأنه لو كانت مختلفة في الوجود ـ وهي بحسب الفرض قديمة وواجبة كالذات ـ للزم تعدد واجب الوجود ولا نثلمت الوحدة الحقيقية ، وهذا ما ينافي عقيدة التوحيد .

وأما الصفات الثبوتية الاضافية ، كالخالقية والرازقية والتقدم والعلية ، فهي ترجع في حقيقتها إلى صفة واحدة حقيقية وهي القيومية لمخلوقاته ، وهي صفة واحدة تنتزع منها عدة صفات بإعتبار إختلاف الآثار والملاحظات .

وأما الصفات السلبية التي تسمى بصفات (الجلال) ، فهي ترجع جميعها إلى سلب واحد هو سلب الامكان عنه ، فإن سلب الامكان لازمه ، بل معناه سلب الجسمية والصورة والحركة والسكون والثقل والخفة وما إلى ذلك ، بل سلب كل نقص . ثم

إن مرجع سلب الامكان في الحقيقة إلى وجوب الوجود ، ووجوب الوجود من الصفات الثبوتية الكمالية ، فترجع الصفات الجلالية (السلبية) آخر الأمر إلى الصفات الكمالية (الثبوتية) . والله تعالى واحد من جميع الجهات لا تكثر في ذاته المقدسة ولا تركيب في حقيقة الواحد الصمد .

ولا ينقضي العجب من قول من يذهب إلى رجوع الصفات الثبوتية إلى الصفات السلبية ، لما عز عليه أن يفهم كيف أن صفاته عين ذاته ، فتخيل أن الصفات الثبوتية ترجع إلى السلب ليطمئن إلى القول بوحدة الذات وعدم تكثرها . فوقع بما هو أسوأ ، إذ جعل الذات التي هي عين الوجود ومحض الوجود ، والفاقدة لكل نقص وجهة إمكان ، جعلها عين العدم ومحض السلب . أعاذنا الله من شطحات الأوهام وزلات الأقلام .

كما لا ينقضي العجب من قول من يذهب إلى أن صفاته الثبوتية زائدة على ذاته ، فقال بتعدد القدماء ووجود الشركاء لواجب الوجود . أو قال بتركيبه تعالى عن ذلك . قال مولانا أمير المؤمنين وسيد الموحدين عليه السلام : (وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه ، بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة ، فمن وصفه سبحانه فقد قرنه ، ومن قرنه فقد ثناه ، ومن ثناه فقد جزأه ، ومن جزأه فقد جهله . .) .

* * *

٨ ـ عقيدتنا بالعدل

ونعتقد أن من صفاته تعالى الثبوتية الكمالية أنه عادل غير ظالم ، فلا يجور في قضائه ولا يحيف في حكمه ، يثيب المطيعين ، وله أن يجازي العاصين ، ولا يكلف عباده ما لا يطيقون ، ولا يعاقبهم زيادة على ما يستحقون . ونعتقد أنه سبحانه لا يترك الحسن عند عدم المزاحمة ، ولا يفعل القبيح ، لأنه تعالى قادر على فعل الحسن وترك القبيح ، مع فرض علمه بحسن الحسن وقبح القبيح ، وغناه عن ترك الحسن وعن فعل القبيح ، فلا الحسن يتضرر بفعله حتى يحتاج إلى تركه ، ولا القبيح يفتقر إليه حتى يفعله . وهو مع كل ذلك حكيم لا بد أن يكون فعله مطابقاً للحكمة وعلى حسب النظام الأكمل .

فلو كان يفعل الظلم والقبح ـ تعالى عن ذلك ـ فان الأمر في ذلك لا يخلو عن أربع صور :

١ ـ أن يكون جاهلاً بالأمر ، فلا يدري أنه قبيح .

٢ ـ أن يكون عالماً به ، ولكنه مجبور على فعله وعاجز عن تركه .

٣ ـ أن يكون عالماً به ، وغير مجبور عليه ، ولكنه محتاج إلى فعله .

٤ ـ أن يكون عالماً به ، وغير مجبور عليه ولا يحتاج إليه ، فينحصر في أن يكون فعله له تشهياً وعبثاً ولهواً .

وكل هذه الصور محال على الله تعالى ، وتستلزم النقص فيه ، وهو محض الكمال ، فيجب أن نحكم أنه منزه عن الظلم وفعل ما هو قبيح .

غير أن بعض المسلمين جوز عليه تعالى فعل القبيح تقدست أسماؤه ، فجوز أن يعاقب المطيعين ويدخل الجنة العاصين بل الكافرين ، وجوز أن يكلف العباد فوق طاقتهم وما لا يقدرون عليه ومع ذلك يعاقبهم على تركه ، وجوز أن يصدر منه الظلم والجور والكذب والخداع ، وأن يفعل الفعل بلا حكمة وغرض ولا مصلحة وفائدة ، بحجة أنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

فرب أمثال هؤلاء الذين صوروه على عقيدتهم الفاسدة : ظالم جائر سفيه لاعب كاذب مخادع ، يفعل القبيح ويترك الحسن الجميل . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، وهذا هو الكفر بعينه .
وقد قال الله تعالى في محكم كتابه : (وما الله يريد ظلماً للعباد) ، وقال : (والله لا يحب الفساد) ، وقال : (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين) ، وقال : (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) إلى غير ذلك من الآيات الكريمة . سبحانك ما خلقت هذا باطلاً .

* * *

٩ ـ عقيدتنا في التكليف

نعتقد أنه تعالى لا يكلف عباده إلا بعد إقامة الحجة عليهم ،

ولا يكلفهم إلا ما يسعهم وما يقدرون عليه وما يطيقونه وما يعلمون ، لأنه من الظلم تكليف العاجز والجاهل غير المقصر في التعليم .

أما الجاهل المقصر في معرفة الأحكام والتكاليف فهو مسؤول عند الله تعالى ، ومعاقب على تقصيره ، إذ يجب على كل إنسان أن يتعلم ما يحتاج إليه من الأحكام الشرعية .

ونعتقد أنه تعالى لا بد أن يكلف عباده ويسن لهم الشرائع وما فيه صلاحهم وخيرهم ، ليدلهم على طريق الخير والسعادة الدائمة ، ويرشدهم إلى ما فيه الصلاح ، ويزجرهم عما فيه الفساد والضرر عليهم وسوء عاقبتهم ، وان علم أنهم لا يطيعونه ، لأن ذلك لطف ورحمة بعباده وهم يجهلون أكثر مصالحهم وطرقها في الدنيا والآخرة ، ويجهلون الكثير مما يعود عليهم بالضرر والخسران . والله تعالى هو الرحمن الرحيم بنفس ذاته ، وهو من كماله المطلق الذي هو عين ذاته ويستحيل أن ينفك عنه . ولا يرفع هذا اللطف وهذه الرحمة أن يكون العباد متمردين على طاعته غير منقادين إلى أوامره ونواهيه .

* * *

١٠ ـ عقيدتنا في القضاء والقدر

ذهب قوم وهم (المجبرة) إلى أنه تعالى هو الفاعل لأفعال المخلوقين ، فيكون قد أجبر الناس على فعل المعاصي وهو مع ذلك

يعذبهم عليها ، وأجبرهم على فعل الطاعات ومع ذلك يثيبهم عليها ، لأنهم يقولون ان أفعالهم في الحقيقة أفعاله وإنما تنسب إليهم على سبيل التجوز لأنهم محلها . ومرجع ذلك إلى إنكار السببية الطبيعية بين الأشياء ، وأنه تعالى هو السبب الحقيقي لا سبب سواه .

وقد أنكروا السببية الطبيعية بين الأشياء ، إذ ظنوا أن ذلك هو مقتضى كونه تعالى هو الخالق الذي لا شريك له . ومن يقول بهذه المقالة فقد نسب الظلم إليه تعالى عن ذلك .

وذهب قوم آخرون وهم (المفوضة) إلى أنه تعالى فوض الأفعال إلى المخلوقين ، ورفع قدرته وقضاءه وتقديره عنها ، باعتبار أن نسبة الأفعال اليه تعالى تستلزم نسبة النقص إليه ، وأن للموجودات أسبابها الخاصة وان انتهت كلها إلى مسبب الأسباب والسبب الأول ، وهو الله تعالى . ومن يقول بهذه المقالة فقد أخرج الله تعالى من سلطانه ، وأشرك غيره معه في الخلق .

وإعتقادنا في ذلك تبع لما جاء عن أئمتنا الأطهار عليهم السلام من الأمر بين الأمرين ، والطريق الوسط بين القولين ، الذي كان يعجز عن فهمه أمثال أولئك المجادلين من أهل الكلام . ففرط منهم قوم ، وأفرط آخرون . ولم يكتشفه العلم والفلسفة إلا بعد عدة قرون .

وليس من الغريب ممن لم يطلع على حكمة الأئمة عليهم

السلام وأقوالهم ، أن يحسب أن هذا القول ـ وهو الأمر بين الأمرين ـ من مكتشفات بعض فلاسفة الغرب المتأخرين ، وقد سبقهم إليه أئمتنا قبل عشرة قرون .

فقد قال إمامنا الصادق عليه السلام لبيان الطريق الوسط كلمته المشهورة : (لا جبر ولا تفويض ، ولكن أمر بين أمرين) .

ما أجل هذا المغزى وما أدق معناه . وخلاصته : إن أفعالنا من جهة هي أفعالنا حقيقة ونحن أسبابها الطبيعية . وهي تحت قدرتنا وإختيارنا ، ومن جهة أخرى هي مقدورة لله تعالى وداخلة في سلطانه ، لأنه هو مفيض الوجود ومعطيه . فلم يجبرنا على أفعالنا حتى يكون قد ظلمنا في عقابنا على المعاصي ، لأن لنا القدرة والاختيار فيما نفعل ، ولم يفوض إلينا خلق أفعالنا حتى يكون قد أخرجها عن سلطانه ، بل له الخلق والحكم والأمر ، وهو قادر على كل شيء ومحيط بالعباد .

وعلى كل حال ، فعقيدتنا إن القضاء والقدر سر من أسرار الله تعالى ، فمن إستطاع أن يفهمه على الوجه اللائق بلا إفراط ولا تفريط فذاك ، وإلا فلا يجب عليه ان يتكلف فهمه والتدقيق فيه لئلا يضل وتفسد عليه عقيدته ، لأنه من دقائق الامور بل من أدق مباحث الفلسفة التي لا يدركها إلا الأوحدي من الناس ، ولذا

زلت به أقدام مثيرين من المتكلمين . فالتكليف به تكليف بما هو فوق مستوى مقدور الرجل العادي . ويكفي ان يعتقد به الانسان على الاجمال إتباعا لقول الأئمة الأطهار من أنه أمر بين الأمـرين ليس فيه جبر ور تفويض . وليس هو من الأصول الاعتقادية حتى يجــب تحصيل الاعتقــاد به على كل حال على نحــو التفصيل والتدقيق .

* * *

١١ ـ عقيدتنا في البداء

البداء في الإنسان : أن يبدو له رأي في الشيء لم يكن له ذلك الرأي سابقاً ، بأن يتبـدل عزمـه في العمـل الـذي كان يريد أن يصنعه إذ يحدث عنده ما يغير رأيه وعلمه به ، فيبدو له تركه بعد أن كان يريد فعله ، وذلك عن جهل بالمصالح وندامة على ما سبق منه .

والبداء بهذا المعنى يستحيل على الله تعـالى لأنـه من الجهـل والنقص ، وذلك محال عليه تعـالى ولا تقـول به الأمـامية . قال الصادق (ع) : (من زعم أن الله تعالى بدا له في شيء بداء ندامة فهو عندنا كافر بالله العظيم) ، وقال أيضاً : (من زعم أن الله بدا له في شيء ولم يعلمه أمس فأبرأ منه) .

غير أنه وردت عن أئمتنا الأطهار عليهم السلام روايات توهم القول بصحة البداء بالمعنى المتقدم ، كما ورد عن الصـادق عليه

السلام : (ما بدا لله في شيء كما بدا له في إسماعيل إبني) . ولذلك نسب بعض المؤلفين في الفرق الإسلامية إلى الطائفة الامامية القول بالبداء طعناً في المذهب وطريق آل البيت ، وجعلوا ذلك من جملة التشنيعات على الشيعة .

والصحيح في ذلك أن نقول كما قال الله تعالى في محكم كتابه المجيد : (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) . ومعنى ذلك أنه تعالى قد يظهر شيئاً على لسان نبيه أو وليه أو في ظاهر الحال لمصلحة تقتضي ذلك الاظهار ، ثم يمحوه فيكون غير ما قد ظهر أولاً ، مع سبق عمله تعالى بذلك ، كما في قصة إسماعيل لما رأى أبوه إبراهيم أنه يذبحه ، فيكون معنى قول الإمام عليه السلام أنه ما ظهر لله سبحانه أمر في شيء ، كما ظهر له في إسماعيل ولده إذ إخترمه قبله ليعلم الناس أنه ليس بإمام ، وقد كان ظاهر الحال أنه الامام بعده لأنه أكبر ولده .

وقريب من البداء في هذا المعنى نسخ أحكام الشرائع السابقة بشريعة نبينا (ص) ، بل نسخ بعض الأحكام التي جاء بها نبينا صلى الله عليه وآله وسلم .

* * *

١٢ ـ عقيدتنا في أحكام الدين

نعتقد أنه تعالى جعل أحكامه من الواجبات والمحرمات وغيرهما طبقاً لمصالح العباد في نفس أفعالهم . فما فيه المصلحة

الملزمة جعله واجباً ، وما فيه المفسدة البالغة نهى عنه ، وما فيه مصلحة راجحة ندبنا إليه . . وهكذا في باقي الأحكام ، وهذا من عدله ولطفه بعباده . ولا بد أن يكون له في كل واقعة حكم ، ولا يخلو شيء من الأشياء من حكم واقعي لله فيه وإن إنسد علينا طريق علمه .

ونقول أيضاً أنه من القبيح أن يأمر بما فيه المفسدة أو ينهي عما فيه المصلحة ، غير أن بعض الفرق من المسلمين يقولون : إن القبيح ما نهى الله تعالى عنه والحسن ما أمر به ، فليس في نفس الأفعال ، مصالح أو مفاسد ذاتية ولا حسن أو قبح ذاتيان .

وهذا قول مخالف للضرورة العقلية ، كما أنهم جوزوا أن يفعل الله تعالى القبيح فيأمر بما فيه المفسدة وينهي عما فيه المصلحة . وقد تقدم أن هذا القول فيه مجازفة عظيمة ، وذلك لاستلزامه نسبة الجهل أو العجز إليه سبحانه وتعالى علوا كبيراً .

والخلاصة : إن الصحيح في الاعتقاد أن نقول : إنه تعالى لا مصلحة له ولا منفعة في تكاليفنا بالواجبات ونهينا عن فعل ما حرمه ، بل المصلحة والمنفعة ترجع لنا في جميع التكاليف ، ولا معنى لنفي المصالح والمفاسد في الأفعال المأمور بها والمنهي عنها ، فإنه تعالى لا يأمر عبثاً ولا ينهي جزافاً وهو الغني عن عباده .

الفصل الثاني

النبوة

١٣ ـ عقيدتنا في النبوة

نعتقد أن (النبوة) وظيفة إلهية وسفارة ربانية ، يجعلها الله تعالى لمن ينتجبه ويختاره من عباده الصالحين وأوليائه الكاملين في أنسانيتهم ، فيرسلهم إلى سائر الناس لغاية إرشادهم إلى ما فيه منافعهم ومصالحهم في الدنيا والآخرة ، ولغرض تنزيههم وتزكيتهم من درن مساوئ الأخلاق ومفاسد العادات ، وتعليمهم الحكمة والمعرفة وبيان طريق السعادة والخير ، لتبلغ الإنسانية كمالها اللائق بها ، فترتفع إلى درجاتها الرفيعة في الدارين . دار الدنيا ودار الآخرة .

ونعتقد أن قاعدة اللطف ـ على ما سيأتي معناها ـ توجب أن يبعث الخالق اللطيف بعباده ، رسله لهداية البشر وأداء الرسالة الأصلاحية وليكونوا سفراء الله وخلفاءه . كما نعتقد أنه تعالى لم يجعل للناس حق تعيين النبي أو ترشيحه أو إنتخابه ، وليس لهم الخيرة في ذلك ، بل أمر كل ذلك بيده تعالى لأنه (أعلم حيث يجعل رسالته) .

وليس لهم أن يتحكموا فيمن يرسله هادياً ومبشراً ونذيراً ، ولا أن يتحكموا فيما جاء به من أحكام وسنن وشريعة .

* * *

١٤ ـ النبوة لطف

إن الإنسان مخلوق غريب الأطوار ، معقد التركيب في تكوينه وفي طبيعته وفي نفسيته وفي عقله ، وقد إجتمعت فيه نوازع الفساد من جهة ، وبواعث الخير والصلاح من جهة أخرى : فمن جهة قد جبل على العواطف والغرائز من حب النفس والهوى والأثـرة وإطاعـة الشهـوات ، وفطـر على حب التغلـب والاستطالـة والاستيلاء ءى ما سواه ، والتكالب على الحياة الدنيا وزخارفهـا ومتاعهـا ، كما قال تعـالى ، (ان الإنسـان لفـي خسر) و (إن الإنسان يطغى أن رآه إستغنى) و (إن النفس لأمارة بالسوء) إلى غير ذلك من الآيات المصرحة والمشيرة إلى ما جبلت عليه النفس الانسانية من العواطف والشهوات .

ومن الجهة الثانية ، خلق الله تعالى فيه عقلاً هادياً يرشده إلى الصلاح ومواطن الخـير ، وضمـيراً وازعـاً يردعـه عن المنـكرات والظلم ويؤ نبه على فعل ما هو قبيح ومذموم .

ولا يزال الخصام الداخلي في النفس الإنسـانية مستعـراً بـين العاطفة والعقل ، فمن يتغلب عقله على عاطفته كان من الأعلين مقاماً ، والراشدين في إنسانيتهم ، والكاملـين في روحانيتهـم ، ومن تقهره عاطفته كان من الأخسرين منزلة والمتردين إنسانية .

وأشـد هذين المتخاصمـين مراسـاً على النفس هي العاطفـة وجنودها ، فلذلك تجد أكثر الناس منغمسين في الضلالة ومبتعدين

عن الهداية ، بإطاعة الشهوات وتلبية نداء العواطف (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) . على أن الإنسان لقصوره وعدم إطلاعه على جميع الحقائق وأسرار الأشياء المحيطة به والمنبثقة من نفسه ، لا يستطيع أن يعرف بنفسه كل ما يضره وينفعه ، ولا كل ما يسعده ويشقيه ، لا فيما يتعلق بخاصة نفسه . ولا فيما يتعلق بالنوع الانساني ومجتمعه ومحيطه ، بل لا يزال جاهلاً بنفسه ، ويزيد جهلاً أو إدراكاً لجهله بنفسه ، كلما تقدم العلم عنده بالأشياء الطبيعية والكائنات المادية .

وعلى هذا فالإنسان في أشد الحاجة ليبلغ درجات السعادة إلى من ينصب له الطريق اللاحب والنهج الواضح إلى الرشاد وإتباع الهدى ، لتقوى بذلك جنود العقل حتى يتمكن من التغلب على خصمه اللدود اللجوج عندما يهيء الإنسان نفسه لدخول المعركة الفاصلة بين العقل والعاطفة . وأكثر ما تشتد حاجته إلى من يأخذ بيده إلى الخير والصلاح عندما تخادعه العاطفة وتراوغه ـ وكثيراً ما تفعل ـ فتزين له أعماله وتحسن لنفسه إنحرافاتها ، إذ تريه ما هو حسن قبيحاً أو ما هو قبيح حسناً . وتلبس على العقل طريقه إلى الصلاح والسعادة والنعيم ، في وقت ليس له تلك المعرفة التي تميز له كل ما هو حسن ونافع ، وكل ما هو قبيح وضار . وكل واحد منا صريع لهذه المعركة من حيث يدري ولا يدري إلا من عصمه الله .

ولأجل هذا يعسر على الإنسان المتمدن المثقف ، فضلاً عن الوحشي الجاهل ، أن يصل بنفسه إلى جميع طرق الخير والصلاح ، ومعرفة جميع ما ينفعه ويضره في دنياه وآخرته فيما يتعلق بخاصة نفسه أو بمجتمعه ومحيطه ، مهما تعاضد مع غيره من أبناء نوعه ممن هو على شاكلته وتكاشف معهم ، ومهما أقام - بالإشتراك معهم - المؤتمرات والمجالس والإستشارات .

فوجب أن يبعث الله تعالى في الناس رحمة لهم ولطفاً بهم (رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) ، وينذرهم عما فيه فسادهم ويبشرهم بما فيه صلاحهم وسعادتهم .

إنما كان اللطف من الله تعالى واجباً ، فلأن اللطف بالعباد من كماله المطلق وهو اللطيف بعباده الجواد الكريم ، فإذا كان المحل قابلاً ومستعداً لفيض الجود واللطف فإنه تعالى لا بد أن يفيض لطفه ، إذ لا بخل في ساحة رحمته ولا نقص في جوده وكرمه .

وليس معنى الوجوب هنا أن أحداً يأمره بذلك فيجب عليه أن يطيع .. تعالى عن ذلك ، بل معنى الوجوب في ذلك هو كمعنى الوجوب في قولك : إنه واجب الوجود « أي اللزوم وإستحالة الإنفكاك » .

* * *

١٥ ـ عقيدتنا في معجزة الأنبياء

نعتقد أنه تعالى ان ينصب لخلقه هادياً ورسولاً أن يعرفهم بشخصه ، ويرشدهم إليه بالخصوص على وجه التعيين ، وذلك منحصر بأن ينصب على رسالته دليلاً وحجة يقيمها لهم ، إتماماً للطف وإستكمالاً للرحمة ، وذلك الدليل لا بد أن يكون من نوع لا يصدر إلا من خالق الكائنات ومدبر الموجودات (أي فوق مستوى مقدور البشر) ، فيجريه على يدي ذلك الرسول الهادي ليكون معرفاً به ومرشداً إليه ، وذلك الدليل هو المسمى بـ (المعجز أو المعجزة) لأنه يكون على وجه يعجز البشر عن مجاراته والاتيان بمثله .

وكما أنه لا بد للنبي من معجزة يظهر بها للناس لاقامة الحجة عليهم ، فلا بد أن تكون تلك المعجزة ظاهرة الاعجاز بين الناس على وجه يعجز عنها العلماء وأهل الفن في وقته ، فضلاً عن غيرهم من سائر الناس ، مع إقتران تلك المعجزة بدعوى النبوة منه لتكون دليلاً على مدعاه وحجة بين يديه . فإذا عجز عنها أمثال أولئك علم أنها فوق مقدور البشر وخارقة للعادة ، فيعلم أن صاحبها فوق مستوى البشر بما له من ذلك الاتصال الروحي بمدبر الكائنات . وإذا تم ذلك لشخص من ظهور المعجز الخارق للعادة ، وادعى مع ذلك النبوة والرسالة ، يكون حينئذ موضعاً لتصديق الناس بدعواه والإيمان برسالته والخضوع لقوله وأمره ،

فيؤمن به من يؤمن ويكفر به من يكفر .

ولأجل هذا وجدنا أن معجزة كل نبي تناسب ما يشتهر في عصره من العلوم والفنون . فكانت معجزة موسى (ع) هي العصا التي تلقف السحر وما يأفكون ، إذ كان السحر في عصره فناً شائعاً ، فلما جاءت العصا بطل ما كانوا يعملون وعلموا أنها فوق مقدورهم ، وأعلى من فنهم ، وأنها مما يعجز عن مثله البشر ، ويتضاءل عندها الفن والعلم .

وكذلك كانت معجزة عيسى (ع) هي إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ، إذ جاءت في وقت كان فن الطب هو السائد بين الناس ، وفيه علماء وأطباء لهم المكانة العليا ، فعجز علمهم عن مجاراة ما جاء به عيسى عليه السلام .

ومعجزة نبينا الخالدة هي القرآن الكريم المعجز ببلاغته وفصاحته ، في وقت كان فن البلاغة معروفاً . وكان البلغاء هم المقدمون عند الناس بحسن بيانهم وسمو فصاحتهم ، فجاء القرآن كالصاعقة أذلهم وأدهشهم وأفهمهم أنهم لا قبل لهم به ، فخنعوا له مطيعين عندما عجزوا عن مجاراته وقصروا عن اللحاق بغباره . ويدل على عجزهم أنه تحداهم باتيان عشر سور مثله فلم يقدروا . ثم تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله فنكصوا . ولما علمنا عجزهم عن مجاراته مع تحديه لهم ، وعلمنا لجوءهم إلى المقاومة بالسنان دون اللسان ، علمنا أن القرآن من نوع المعجز وقد جاء

به محمد بن عبد الله مقروناً بدعوى الرسالة ، فعلمنا أنه رسول الله جاء بالحق وصدق به (ص) .

* * *

١٦ ـ عقيدتنا في عصمة الأنبياء

ونعتقد أن الأنبياء معصومون قاطبة ، وكذلك الأئمة ، عليهم جميعاً التحيات الزاكيات ، وخالفنا في ذلك بعض المسلمين ، فلم يوجبوا العصمة في الأنبياء فضلاً عن الأئمة .

والعصمة هي : التنزه عن الذنوب والمعاصي صغائرها وكبائرها ، وعن الخطأ والنسيان ، وان لم يمتنع عقلاً على النبي أن يصدر منه ذلك ، بل يجب أن يكون منزهاً حتى عما ينافي المروءة ، كالتبذل بين الناس من أكل في الطريق أو ضحك عال ، وكل عمل يستهجن فعله عند العرف العام .

والدليل على وجوب العصمة : أنه لو جاز أن يفعل النبي المعصية ، أو يخطأ وينسى ، وصدر منه شيء من هذا القبيل فأما أن يجب إتباعه في فعله الصادر منه عصياناً أو خطأ أو لا يجب ، فإن وجب إتباعه فقد جوزنا فعل المعاصي برخصة من الله تعالى بل أوجبنا ذلك ، وهذا باطل بضرورة الدين والعقل ، وان لم يجب إتباعه فذلك ينافي النبوة التي لا بد أن تقترن بوجوب الطاعة أبداً .

على أن كل شيء يقع منه من فعل أو قول فنحن نحتمل فيه المعصية أو الخطأ ، فلا يجب إتباعه في شيء من الأشياء فتذهب فائدة البعثة ، بل يصبح النبي كسائر الناس ليس لكلامهم ولا لعملهم تلك القيمة العالية التي يعتمد عليها دائماً . كما لا تبقى طاعة حتمية لأوامره ولا ثقة مطلقة بأقواله وأفعاله .

وهذا الدليل على العصمة يجري عينا في الامام ، لأن المفروض فيه أنه منصوب من الله تعالى لهداية البشر خليفة للنبي ، على ما سيأتي في فصل الأمامة .

* * *

١٧ ـ عقيدتنا في صفات النبي

ونعتقد أن النبي كما يجب أن يكون معصوماً ، يجب أن يكون متصفاً بأكمل الصفات الخلقية والعقلية وأفضلها ، من نحو الشجاعة والسياسة والتدبير والصبر والفطنة والذكاء ، حتى لا يدانيه بشر سواه فيها ، لأنه لولا ذلك لما صح أن تكون له الرئاسة العامة على جميع الخلق ولا قوة إدارة العالم كله .

كما يجب أن يكون طاهر المولد ، أميناً صادقاً ، منزهاً عن الرذائل قبل بعثته أيضاً ، لكي تطمئن إليه القلوب وتركن إليه النفوس ، بل لكي يستحق هذا المقام الالهي العظيم .

* * *

١٨ ـ عقيدتنا في الأنبياء وكتبهم

نؤمن على الاجمال بأن جميع الأنبياء والمرسلين على حق ، كما نؤمن بعصمتهم وطهارتهم ، وأما إنكار نبوتهم أو سبهم أو الاستهزاء بهم فهو من الكفر والزندقة ، لأن ذلك يستلزم إنكار نبينا الذي أخبر عنهم وصدقهم .

أما المعروفة أسماؤهم وشرائعهم كآدم ونوح وإبراهيم وداود وسليمان وموسى وعيسى وسائر من ذكرهم القرآن الكريم بأعيانهم ، فيجب الايمان بهم على الخصوص . ومن أنكر واحداً منهم فقد أنكر الجميع ، وأنكر نبوة نبينا بالخصوص .

وكذلك يجب الايمان بكتبهم وما نزل عليهم . وأما التوراة والانجيل الموجودان الآن بين أيدي الناس ، فقد ثبت أنهما محرفان عما أنزلا بسبب ما حدث فيهما من التغيير والتبديل ، والزيادات والاضافات ، بعد زماني موسى وعيسى عليهما السلام بتلاعب ذوي الأهواء والأطماع ، بل الموجود منهما أكثره أو كله موضوع بعد زمانهما من الأتباع والأشياع .

* * *

١٩ ـ عقيدتنا في الإسلام

نعتقد أن الدين عند الله الإسلام ، وهو الشريعة الإلهية الحقة التي هي خاتمة الشرائع وأكملها ، وأوفقها في سعادة البشر ،

وأجمعها لمصالحهم في دنياهم وآخرتهم ، وصالحة للبقاء مدى الدهور والعصور لا تتغير ولا تتبدل ، وجامعة لجميع ما يحتاجه البشر من النظم الفردية والاجتماعية والسياسية . ولما كانت خاتمة الشرائع ولا نترقب شريعة أخرى تصلح هذا البشر المنغمس في المظالم والفساد ، فلا بد أن يأتي يوم يقوى فيه الدين الإسلامي فيشمل المعمورة بعدله وقوانينه .

ولو طبقت الشريعة الإسلامية بقوانينها في الأرض تطبيقاً كاملاً صحيحاً ، لعم السلام بين البشر ، وتمت السعادة لهم ، وبلغوا أقصى ما يحلم به الإنسان من الرفاه والعزة والسعة والدعة والخلق الفاضل ، ولانقشع الظلم من الدنيا وسادت المحبة والأخاء بين الناس أجمعين ، ولانمحى الفقر والفاقة من صفحة الوجود .

وإذا كنا نشاهد اليوم الحالة المزرية عند الذين يسمون أنفسهم بالمسلمين ، فلأن الدين الإسلامي في الحقيقة لم يطبق بنصه وروحه ، إبتداء من القرن الأول من عهودهم ، وإستمرت الحال بنا ـ نحن الذين سمينا أنفسنا بالمسلمين ـ من سيء إلى أسوأ إلى يومنا هذا ، فلم يكن التمسك بالدين الإسلامي هو الذي جر على المسلمين هذا التأخر المشين ، بل بالعكس أن تمردهم على تعاليمه وإستهانتهم بقوانينه ، وإنتشار الظلم والعدوان فيهم من ملوكهم إلى صعاليكهم ومن خاصتهم إلى عامتهم ، هو الذي شل حركة

تقدمهم وأضعف قوتهم وحطم معنوياتهم وجلب عليهم الـويل والثبور ، فأهلكهم الله تعالى بذنوبهم (ذلك بأن الله لم يكِ مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ، تلك سنَّة الله في خلقه (انه لا يفلّح المجرمون) (وما كان ربـك ليهلك القـرى بظلم وأهلها مصلحون) (وكذلك أخذ ربك إذ أخذ القرى وهي ظالمة أن أخذه أليم شديد) .

وكيف ينتظر من الدين أن ينتشل الأمـة من وهدتهـا ، وهـو عندها حبر على ورق لا يعمل بأقل القليل من تعاليمه . ان الايمان والأمانة والصدق والاخلاص وحسن المعاملة والايثار ، وأن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه، وأشباهها من أول أسس دين الإسلام ، والمسلمون قد ودعوها من قديم أيامهم إلى حيث نحن الآن . وكلما تقدم بهم الزمـن وجدناهـم أشتاتـاً وأحزابـاً وفرقـاً يتكالبون على الدنيا ويتطاحنون على الخيال ويكفر بعضهم بالآراء غير المفهومة أو الأمور التي لا تعنيهم ، فانشغلوا عن جوهر الدين وعن مصالحهم ومصالح مجتمعهم بأمثال النزاع في خلـق القـرآن والقـول بالـوعيد والرجعــة ، وأن الجنــة والنــار مخلوقتــان أو سيخلقان ، ونحو هذه النزاعات التي أخذت منهم بالخناق وكفر بهـا بعضهـم بعضـاً ، وهـي أن دلـت على شيء فإنمـا تدل على إنحرافهم عن السنن الجادة المعبدة لهم إلى حيث الهلاك والفناء . وزاد الإنحراف فيهم بتطاول الزمان حتى شملهم الجهل والضلال وإنشغلوا بالتوافه والقشور ، وبالأتعاب والخرافـات والأوهـام ،

وبالحروب والمجادلات والمباهات ، فوقعوا بالأخير في هاوية لا قعر لها ، يوم تمكن الغرب المتيقظ ـ العدو اللدود للإسلام ـ من أن يستعمر هذه البقاع المنتسبة إلى الإسلام وهي في غفلتها وغفوتها ، فيرمي بها في هذه الهوة السحيقة ، ولا يعلم إلا الله تعالى مداها ومنتهاها (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) .

ولا سبيل للمسلمين اليوم وبعد اليوم إلا أن يرجعوا إلى أنفسهم فيحاسبوها على تفريطهم ، وينهضوا إلى تهذيب أنفسهم والأجيال الآتية بتعاليم دينهم القويمة ، ليمحوا الظلم والجور من بينهم . وبذلك يتمكنون من أن ينجوا بأنفسهم من هذه الطامة العظمى ، ولا بد بعد ذلك أن يملأوا الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً ، كما وعدهم الله تعالى ورسوله وكما هو المترقب من دينهم الذي هو خاتمة الأديان ، ولا رجاء في صلاح الدنيا وإصلاحها بدونه . ولا بد من امام ينفي عن الإسلام ما علق فيه من أوهام وألصق فيه من بدع وضلالات ، وينقذ البشر وينجيهم مما بلغوا إليه من فساد شامل وظلم دائم وعدوان مستمر وإستهانة بالقيم الأخلاقية والأرواح البشرية . عجل الله فرجه وسهل مخرجه .

* * *

٢٠ ـ عقيدتنا في مشرع الإسلام

نعتقد أن صاحب الرسالة الإسلامية هو محمد بن عبد الله وهو خاتم النبيين وسيد المرسلين وأفضلهم على الاطلاق ، كما أنه سيد البشر جميعاً لا يوازيه فاضل في فضل ، ولا يدانيه أحد في مكرمة ، ولا يقاربه عاقل في عقل ، ولا يشبهه شخص في خلق ، وانه لعلى خلق عظيم ، ذلك من أول نشأة البشر إلى يوم القيامة .

* * *

٢١ ـ عقيدتنا في القرآن الكريم

نعتقد أن (القرآن) هو الوحي الإلهي المنزل من الله تعالى على لسان نبيه الأكرم ، فيه تبيان لكل شيء ، وهو معجزته الخالدة التي أعجزت البشر عن مجاراتها في البلاغة والفصاحة وفيما حوى من حقائق ومعارف عالية ، لا يعتريه التبديل والتغيير والتحريف ، وهذا الذي بين أيدينا نتلوه هو نفس القرآن المنزل على النبي ، ومن ادعى فيه غير ذلك فهو مخترق أو مغالط أو مشتبه ، وكلهم على غير هدى ، فإنه كلام الله الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) .

ومن دلائل إعجازه أنه كلما تقدم الزمن وتقدمت العلوم والفنون ، فهو باق على طراوته وحلاوته وعلى سمو مقاصده وأفكاره ، ولا يظهر فيه خطأ في نظرية علمية ثابتة ، ولا يتحمل نقض حقيقة فلسفية يقينية ، على العكس من كتب العلماء

وأعاظم الفلاسفة مهما بلغوا في منزلتهم العلمية ومراتبهم الفكرية ، فإنه يبدو بعض منها على الأقل تافهاً أو نابياً أو مغلوطاً ، كلما تقدمت الأبحاث العلمية وتقدمت العلوم بالنظريات المستحدثة ، حتى من مثل أعاظم فلاسفة اليونان كسقراط وأفلاطون وأرسطو الذين إعترف لهم جميع من جاء بعدهم بالأبوة العلمية والتفوق الفكري .

ونعتقد أيضاً بوجوب إحترام القرآن الكريم وتعظيمه بالقول والعمل ، فلا يجوز تنجيس كلماته حتى الكلمة الواحدة المعتبرة جزءاً منه على وجه يقصد أنها جزء منه ، كما لا يجوز لمن كان على غير طهارة أن يمس كلماته أو حروفه (لا يمسه إلا المطهرون) ، سواء كان محدثاً بالحدث الأكبر كالجنابة والحيض والنفاس وشبهها ، أو محدثاً بالحدث الأصغر حتى النوم ، إلا إذا إغتسل أو توضأ على التفاصيل التي تذكر في الكتب الفقهية .

كما أنه لا يجوز إحراقه ، ولا يجوز توهينه بأي ضرب من ضروب التوهين الذي يعد في عرف الناس توهيناً ، مثل رميه أو تقذيره أو وضعه في مكان مستحقر . فلو تعمد شخص توهينه وتحقيره بفعل واحد من هذه الأمور وشبهها ، فهو معدود من المنكرين للإسلام وقدسيته المحكوم عليهم بالمروق عن الدين والكفر برب العالمين .

* * *

٢٢ - طريقة إثبات الإسلام والشرائع السابقة

لو خاصمنا أحد في صحة الدين الإسلامي ، نستطيع أن نخصمه بإثبات المعجزة الخالدة له ، وهي القرآن الكريم على ما تقدم من وجه إعجازه . وكذلك هو طريقنا لاقناع نفوسنا عند إبتداء الشك والتساؤل اللذين لا بد أن يمرا على الإنسان الحر في تفكيره عند تكوين عقيدته أو تثبيتها .

أما الشرائع السابقة كاليهودية والنصرانية ، فنحن قبل التصديق بالقرآن الكريم ، أو عند تجريد أنفسنا من العقيدة الإسلامية ، لا حجة لنا لاقناع نفوسنا بصحتها ، ولا لاقناع المشكك المتسائل ، إذ لا معجزة باقية لها كالكتاب العزيز وما ينقله أتباعها من الخوارق والمعاجز للأنبياء السابقين فهم متهمون في نقلهم لها أو حكمهم عليها . وليس في الكتب الموجودة بين أيدينا المنسوبة إلى الأنبياء (كالتوراة والإنجيل) ما يصلح أن يكون معجزة خالدة تصح أن تكون حجة قاطعة ودليلاً مقنعاً في نفسها قبل تصديق الإسلام لها .

وإنما صح لنا ـ نحن المسلمين ـ أن نقر ونصدق بنبوة أهل الشرائع السابقة ، فلأنا بعد تصديقنا بالدين الإسلامي كان علينا أن نصدق بكل ما جاء به وصدقه . ومن جملة ما جاء به وصدقه نبوة جملة من الأنبياء السابقين على نحو ما مر ذكره .

وعلى هذا ، فالمسلم في غنى عن البحث والفحص عن صحة

الشريعة النصرانية وما قبلهـا من الشرائـع السابقـة بعـد إعتناقـه الإسلام ، لأن التصديق به تصديق بها ، والايمان به إيمان بالرسل السابقين والأنبياء المتقدمين . فلا يجب على المسلم أن يبحث عنها ويفحص عن صدق معجزات أنبيائها ، لأن المفروض أنه مسلم قد آمن بها بايمانه بالإسلام . . وكفى .

نعم لو بحث الشخص عن صحة الدين الإسلامي فلم تثبت له صحته ، وجب عليه عقلاً ـ بمقتضى وجوب المعرفة والنظر ـ أن يبحث عن صحة دين النصرانية ، لأنه هو آخر الأديان السابقة على الإسلام ، فان فحص ولم يحصل له اليقين به أيضاً وجب عليه أن ينتقل فيفحص عن آخر الأديان السابقة عليه ، وهو دين اليهودية حسب الفرض . . وهكذا ينتقل في الفحص حتى يتم له اليقين بصحة دين من الأديان أو يرفضها جميعاً .

وعلى العـكس فيمـن نشـأ على اليهـودية أو النصرانية ، فإن اليهودي لا يغنيه إعتقاده بدينه عن البحث عن صحـة النصرانية والدين الإسلامي ، بل يجب عليه النظر والمعرفـة بمقتضى حكم العقل . وكذلك النصراني ليس له أن يكتفي بايمانه بالمسيح عليه السلام ، بل يجب أن يبحث ويفحص عن الإسلام وصحته ، ولا يعذر في القناعة بدينه من دون بحث وفحص ، لأن اليهودية وكذا النصرانية لا تنفي وجود شريعة لاحقة لها ناسخة لأحكامها . ولم يقل موسى ولا المسيح عليهما السلام أنه لا نبي بعدي .

فكيف يجوز لهؤلاء النصارى واليهود أن يطمئنوا إلى عقيدتهم ويركنوا إلى دينهم ، قبل أن يفحصوا عن صحة الشريعة اللاحقة لشريعتهم كالشريعة النصرانية بالنسبة إلى اليهود ، والشريعة الإسلامية بالنسبة إلى اليهود والنصارى . بل يجب بحسب نظرة العقول أن يفحصوا عن صحة هذه الدعوى اللاحقة ، فإن ثبتت لهم صحتها إنتقلوا في دينهم إليها ، وإلا صح لهم في شريعة العقل حينئذ البقاء على دينهم القديم والركون إليه .

أما المسلم ـ كما قلنا ـ فإنه إذا إعتقد بالإسلام لا يجب عليه الفحص لا عن الأديان السابقة على دينه ولا عن اللاحقة التي تدعى . أما السابقة فلأن المفروض أنه مصدق بها فلماذا يطلب الدليل عليها ؟ وإنما فقط قد حكم له بأنها منسوخة بشريعته الإسلامية ، فلا يجب عليه العمل بأحكامها ولا بكتبها . وأما اللاحقة فلأن نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وعلى آله قال : (لا نبي بعدي) وهو الصادق الأمين كما هو مفروض (لا ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى) فلماذا يطلب الدليل على صحة دعوى النبوة المتأخرة ان إدعاها داع ؟

* * *

نعم على المسلم ـ بعد تباعد الزمان عن صاحب الرسالة وإختلاف المذاهب والآراء وتشعب الفرق والنحل ـ أن يسلك الطريق الذي يثق فيه أنه يوصله إلى معرفة الأحكام المنزلة على

محمد صاحب الرسالة ، لأن المسلم مكلف بالعمل بجميع الأحكام المنزلة في الشريعة كما أنزلت ، ولكن كيف يعرف أنها الأحكام المنزلة كما أنزلت ، والمسلمون مختلفون والطوائف متفرقة . فلا الصلاة واحدة ، ولا العبادات متفقة ، ولا الأعمال في جميع المعاملات على وتيرة واحدة ! . . فماذا يصنع ؟ بأية طريقة من الصلاة - إذن - يصلى ؟ وبأية شاكلة من الآراء يعمل في عباداته ومعاملاته ، كالنكاح والطلاق والميراث والبيع والشراء وإقامة الحدود والديات . . وما إلى ذلك ؟

ولا يجوز له أن يقلد الآباء ، ويستكين إلى ما عليه أهله وأصحابه ، بل لا بد أن يتيقن بينه وبين نفسه وبينه وبين الله تعالى . فانه لا مجاملة هنا ولا مداهنة ولا تحيز ولا تعصب . نعم لا بد أن يتيقن بأنه قد أخذ بأمثل الطرق التي يعتقد فيها بفراغ ذمته بينه وبين الله من التكاليف المفروضة عليه منه تعالى ، ويعتقد أنه لا عقاب عليه ولا عتاب منه تعالى باتباعها وأخذ الأحكام منها . ولا يجوز أن تأخذه في الله لومة لائم (أيحسب الإنسان أن يترك سدى) (بل الإنسان على نفسه بصيرة) .

(ان هذه تذكرة فمن شاء إتخذ إلى ربه سبيلاً) . وأول ما يقع التساؤ ل فيما بينه وبين نفسه أنه هل يأخذ بطريقة آل البيت ، أو يأخذ بطريقة غيرهم . وإذا أخذ بطريقة آل البيت فهل الطريقة الصحيحة طريقة الامامية الإثنى عشرية أو طريقة من سواهم من

الفرق الأخرى ؟ . . ثم إذا أخذ بطريقة أهل السنة فمن يقلد من المذاهب الأربعة أو من غيرهم من المذاهب المندرسة ؟ . . هكذا يقع التساؤل لمن أعطى الحرية في التفكير والاختيار ، حتى يلتجىء من الحق إلى ركن وثيق .

ولأجل هذا وجب علينا ـ بعد هذا ـ أن نبحث عن الامامة ، وأن نبحث عما يتبعها في عقيدة الامامية الإثنى عشرية .

الفصل الثالث

الإمــــامــــة

٢٣ ـ عقيدتنا في الإمامة

نعتقد أن الامامة أصل من أصول الدين لا يتـم الايمـان إلا بالاعتقاد بها ، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهـل والمربـين مهما عظموا وكبروا ، بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التـوحيد والنبوة .

وعلى الأقل أن الاعتقـاد بفـراغ ذمـة المكلف من التـكاليف الشرعية المفروضة عليه يتوقف على الاعتقاد بها إيجاباً أو سلبـاً ، فإذا لم تكن أصلاً من الأصول لا يجوز فيها التقليد لكونها أصلاً ، فانه يجب الاعتقاد بها من هذه الجهة أي من جهـة أن فراغ ذمـة المكلف من التكاليف المفروضة عليه قطعاً من الله تعالى واجـب عقـلاً ! وليسـت كلهـا معلومـة من طريقـة قطعية ، فلا بد من الرجوع فيها إلى من نقطع بفراغ الذمة باتباعه ، أما الامـام على طريقة الامامية أو غيره على طريقة غيرهم .

كما نعتقد أنها كالنبوة لطف من الله تعالى ، فلا بد أن يكون في كل عصر إمـام هاد يخلف النبـي في وظائفـه من هداية البشر وإرشادهم إلى ما فيه الصلاح والسعادة في النشأتين ، وله ما للنبي

من الولاية العامة على الناس لتدبير شؤونهم ومصالحهم وإقامة العدل بينهم ورفع الظلم والعدوان من بينهم .

وعلى هذا ، فالامامة إستمرار للنبوة . والدليل الذي يوجب إرسال الرسل وبعث الأنبياء هو نفسه يوجب أيضاً نصب الامام بعد الرسول .

فلذلك نقول : ان الامامة لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان النبي أو لسان الامام الذي قبله . وليست هي بالاختيار والانتخاب من الناس ، فليس لهم إذا شاءوا أن ينصبوا أحداً نصبوه ، وإذا شاءوا أن يعينوا إماماً لهم عينوه ، ومتى شاءوا أن يتركوا تعيينه تركوه ، ليصح لهم البقاء بلا إمام ، بل (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية) على ما ثبت ذلك عن الرسول الأعظم بالحديث المستفيض .

وعليه لا يجوز أن يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطاعة منصوب من الله تعالى ، سواء أبى البشر أم لم يأبوا ، وسواء ناصروه أم لم ينصروه ، أطاعوه أم لم يطيعوه ، وسواء كان حاضراً أم غائباً عن أعين الناس ، إذ كما يصح أن يغيب النبي كغيبته في الغار والشعب صح أن يغيب الامام ، ولا فرق في حكم العقل بين طول الغيبة وقصرها .

قال الله تعالى : (ولكل قوم هاد) الرعد ٨٠ ، وقال : (وان من أمة إلا خلا فيها نذير) فاطر : ٢٤ .

* * *

٢٤ ـ عقيدتنا في عصمة الإمام

ونعتقد أن الامام كالنبي يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن ، من سن الطفولة إلى الموت ، عمداً وسهواً . كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان ، لأن الأئمة حفظة الشرع والقوامون عليه حالهم في ذلك حال النبي ، والدليل الذي إقتضانا أن نعتقد بعصمة الأنبياء هو نفسه يقتضينا أن نعتقد بعصمة الأئمة ، بلا فرق .

* * *

٢٥ ـ عقيدتنا في صفات الإمام وعلمه

ونعتقد ان الإمام كالنبي يجب أن يكون أفضل الناس في صفات الكمال من شجاعة وكرم وعفة وصدق وعدل ، ومن تدبير وعقل وحكمة وخلق . والدليل في النبي هو نفسه الدليل في الإمام . . .

أما علمه فهو يتلقى المعارف والأحكام الإلهية وجميع المعلومات من طريق النبي أو الإمام من قبله . وإذا إستجد شيء لا بد أن يعلمه من طريق الالهام بالقوة القدسية التي أودعها الله تعالى فيه ، فان توجه إلى شيء وشاء أن يعلمه علمه على وجهه الحقيقي ، لا يخطأ فيه ولا يشتبه ولا يحتاج في كل ذلك إلى البراهين العقلية ولا إلى تلقينات المعلمين ، وان كان علمه قابلاً للزيادة والاشتداد ، ولذا قال صلى الله عليه وآله في دعائه : (رب زدني علماً) .

(أقول) : لقد ثبت في الأبحاث النفسية ان كل إنسان له ساعة أو ساعات في حياته قد يعلم فيها ببعض الأشياء من طريق الحدس الذي هو فرع من الالهام ، بسبب ما أودع الله تعالى فيه من قوة على ذلك . وهذه القوة تختلف شدة وضعفاً وزيادة ونقيصة في البشر باختلاف أفرادهم . فيطفر ذهن الإنسان في تلك الساعة الى المعرفة من دون أن يحتاج الى التفكير وترتيب المقدمات والبراهين أو تلقين المعلمين . ويجد كل إنسان من نفسه ذلك في فرص كثيرة في حياته ، وإذا كان الأمر كذلك فيجوز أن يبلغ الانسان من قوته الالهامية أعلى الدرجات وأكملها ، وهذا أمر قرره الفلاسفة المتقدمون .

فلذلك نقول ـ وهو ممكن في حد ذاته ـ ان قوة الالهام عند الامام التي تسمى بالقوة القدسية تبلغ الكمال في أعلى درجاته ، فيكون في صفاء نفسه القدسية على إستعداد لتلقي المعلومات في كل وقت وفي كل حالة ، فمتى توجه إلى شيء من الأشياء وأراد معرفته إستطاع علمه بتلك القوة القدسية الالهامية بلا توقف ولا ترتيب مقدمات ولا تلقين معلم . وتنجلي في نفسه المعلومات كما تنجلي المرئيات في المرآة الصافية لا غطش فيها ولا ابهام .

ويبدو واضحاً هذا الأمر في تاريخ الأئمة عليهم السلام كالنبي محمد صلى الله عليه وآله ، فانهم لم يتربوا على أحد ، ولم يتعلموا على يد معلم ، من مبدأ طفولتهم إلى سن الرشد . حتى القراءة والكتابة ولم يثبت عن أحدهم انه دخل الكتاتيب أو تلمذ

على يد أستاذ في شيء من الأشياء ، مع ما لهم من منزلة علمية لا تجاري . وما سئلوا عن شيء إلا أجابوا عليه في وقته ، ولم تمر على ألسنتهم كلمة (لا أدري) ، ولا تأجل الجواب إلى المراجعة أو التأمل أو نحو ذلك . في حين إنك لا تجد شخصاً مترجماً له من فقهاء الإسلام ورواته وعلمائه إلا ذكرت في ترجمته تربيته وتلمذته على غيره وأخذه الرواية أو العلم على المعروفين وتوقفه في بعض المسائل أو شكه في كثير من المعلومات ، كعادة البشر في كل عصر ومصر .

* * *

٢٦ ـ عقيدتنا في طاعة الأئمة

ونعتقد أن الأئمة هم أولوالأمر الذين أمر الله تعالى بطاعتهم ، وانهم الشهداء على الناس ، وانهم أبواب الله والسبل إليه والأدلاء عليه ، وانهم عيبة علمه وتراجمة وحيه وأركان توحيده وخزان معرفته ، ولذا كانوا أماناً لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء (على حد تعبيره صلى الله عليه وآله) . وكذلك ـ على حد قوله أيضاً ـ (ان مثلهم في هذه الأمة كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى) وأنهم حسبما جاء في الكتاب المجيد (عباد الله المكرمون الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) وأنهم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

بل نعتقد ان أمرهم أمر الله تعالى ، ونهيهم نهيه ، وطاعتهم

طاعته ، ومعصيتهم معصيته ، ووليهم وليه ، وعدوهـم عدوه ، ولا يجوز الرد عليهم ، والراد عليهم كالراد على الرسول والراد على الرسول كالراد على الله تعـالى . فيجـب التسـليم لهـم والانقياد لأمرهم والأخذ بقولهم .

ولهذا نعتقد أن الأحكام الشرعية الإلهية لا تستقى إلا من نمير مائهم ولا يصح أخذها إلا منهم ، ولا تفرغ ذمة المكلف بالرجوع إلى غيرهم ، ولا يطمئن بينه وبين الله إلى انه قد أدى ما عليه من التكاليف المفروضة إلا من طريقهم . انهم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق في هذا البحر المائج الزاخر بأمواج الشبه والضلالات ، والادعاءات والمنازعات .

* * *

ولا يهمنا من بحث الامامة في هذه العصور إثبات انهم هم الخلفاء الشرعيون وأهل السلطة الإلهية ، فإن ذلك أمر مضى في ذمة التاريخ ، وليس في إثباته ما يعيد دورة الزمـن من جديد أو يعيد الحقوق المسلوبة إلى أهلها . وإنما الذي يهمنا منه ما ذكرنا من لزوم الرجوع إليهم في الأخذ بأحكام الله الشرعية ، وتحصيل ما جاء به الرسول الأكرم على الوجه الصحيح الذي جاء به . وان في أخذ الأحكام من الرواة والمجتهدين الـذين لا يستقـون من نمـير مائهم ولا يستضيئـون بنورهـم إبتعـاداً عن محجـة الصـواب في الدين ، ولا يطمئن المكلف من فراغ ذمته من التكاليف المفروضة

عليه من الله تعالى ، لأنه مع فرض وجود الاختلاف في الآراء بين الطوائف والنحل فيما يتعلق بالأحكام الشرعية إختلافاً لا يرجى معه التوفيق، لا يبقى للمكلف مجال أن يتخير ويرجع إلى أي مذهب شاء ورأي اختار ، بل لا بد له أن يفحص ويبحث حتى تحصل له الحجة القاطعة بينه وبين الله تعالى على تعيين مذهب خاص يتيقن أنه يتوصل به إلى أحكام الله وتفرغ به ذمته من التكاليف المفروضة ، فانه كما يقطع بوجود أحكام مفروضة عليه يجب أن يقطع بفراغ ذمته منها ، فان الاشتغال اليقيني يستدعي الفراغ اليقيني .

والدليل القطعي دال على وجوب الرجوع إلى آل البيت وأنهم المرجع الأصلي بعد النبي لأحكام الله المنزلة . وعلى الأقل قوله عليه أفضل التحيات (اني قد تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً : الثقلين ، وأحدهما أكبر من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي . إلا وأنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض) .

وهذا الحديث إتفقت الرواية عليه من طرق أهل السنّة والشيعة .

فدقق النظر في هذا الحديث الجليل تجد ما يقنعك ويدهشك في مبناه ومعناه ، فما أبعد المرمى في قوله : (أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً) والذي تركه فينا هما الثقلان معاً إذ جعلهما

كأمر واحد ولم يكتفِ بالتمسك بواحد منهما فقط ، فبهما معا لن نضل بعده أبداً . وما أوضح المعنى في قوله : (لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض) فلا يجد الهداية أبداً من فرق بينهما ولم يتمسك بهما معاً . فلذلك كانوا (سفينة النجاة) و (أماناً لأهل الأرض) ومن تخلف عنهم غرق في لجج الضلال ولم يأمن من الهلاك . وتفسير ذلك بحبهم فقط من دون الأخذ بأقوالهم واتباع طريقهم هروب من الحق لا يلجىء إليه إلا التعصب والغفلة عن المنهج الصحيح في تفسير الكلام العربي المبين .

* * *

٢٧ ـ عقيدتنا في حب آل البيت

قال الله تعالى : (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) . الشورى : ٢٣ .

نعتقد أنه زيادة على وجوب التمسك بآل البيت ، يجب على كل مسلم أن يدين بحبهم ومودتهم ، لأنه تعالى في هذه الآية المذكورة حصر المسؤول عليه الناس في المودة في القربى .

وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وآله أن حبهم علامة الايمان ، وأن بغضهم علامة النفاق ، وأن من أحبهم أحب الله ورسوله ، ومن أبغضهم أبغض الله ورسوله .

بل حبهم فرض من ضروريات الدين الإسلامي التي لا تقبل

الجدل والشك . وقد إتفق عليه جميع المسلمين على إختلاف نحلهم وآرائهم ، عدا فئة قليلة إعتبروا من أعداء آل محمد ، فنبزوا باسم (النواصب) أي من نصبوا العداوة لآل بيت محمد . وبهذا يعدون من المنكرين لضرورة إسلامية ثابتة بالقطع . والمنكر للضرورة الإسلامية كوجوب الصلاة والزكاة يعد في حكم المنكر لأصل الرسالة ، بل هو على التحقيق منكر للرسالة ، وان أقر في ظاهر الحال بالشهادتين ، ولأجل هذا كان بغض آل محمد من علامات النفاق وحبهم من علامات الايمان . ولأجله أيضاً كان بغضهم بغضاً لله ولرسوله .

* * *

ولا شك أنه تعالى لم يفرض حبهم ومودتهم إلا لأنهم أهل للحب والوفاء ، من ناحية قربهم إليه سبحانه ، ومنزلتهم عنده ، وطهارتهم من الشرك والمعاصي ومن كل ما يبعد عن دار كرامته وساحة رضاه ، ولا يمكن أن نتصور أنه تعالى يفرض حب من يرتكب المعاصي أو لا يطيعه حق طاعته ، فانه ليس له قرابة مع أحد أو صداقة ، وليس عنده الناس بالنسبة إليه إلا عبيداً مخلوقين على حد سواء ، وإنما أكرمهم عند الله أتقاهم . فمن أوجب حبه على الناس كلهم لا بد أن يكون أتقاهم وأفضلهم جميعاً ، وإلا كان غيره أولى بذلك الحب ، أو كان الله يفضل بعضاً على بعض في وجوب الحب والولاية عبثاً أو لهواً بلا جهة إستحقاق وكرامة .

* * *

٢٨ ـ عقيدتنا في الأئمة

لا نعتقد في أئمتنا ما يعتقده الغلاة والحلوليون (كبرت كلمة تخرج من أفواههم) . بل عقيدتنا الخاصة أنهم بشر مثلنا ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، وإنما هم عباد مكرمون أختصهم الله تعالى بكرامته وحباهم بولايته ، إذ كانوا في أعلى درجات الكمال اللائقة في البشر من العلم والتقوى والشجاعة والكرم والعفة وجميع الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة ، لا يدانيهم أحد من البشر فيما اختصوا به . وبهذا إستحقوا أن يكونوا أئمة وهداة ومرجعاً بعد النبي في كل ما يعود للناس من أحكام وحكم ، وما يرجع للدين من بيان وتشريع . وما يختص بالقرآن من تفسير وتأويل .

قال إمامنا الصادق عليه السلام : (ما جاءكم عنا مما يجوز أن يكون في المخلوقين ولم تعلموه ولم تفهموه فلا تجحدوه وردوه إلينا ، وما جاءكم عنا مما لا يجوز أن يكون في المخلوقين فإجحدوه ولا تردوه إلينا) .

* * *

٢٩ ـ عقيدتنا في أن الامامة بالنص

نعتقد أن الامامة كالنبوة لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان رسوله أو لسان الامام المنصوب بالنص إذا أراد أن ينص على الامام من بعده ، وحكمها في ذلك حكم النبوة بلا فرق ، فليس للناس أن يتحكموا فيمن يعينه الله هادياً ومرشداً لعامة البشر ، كما

ليس لهم حق تعيينه أو ترشيحه أو إنتخابه ، لأن الشخص الذي له من نفسه القدسية استعداد لتحمل أعباء الامامة العامة وهدايه البشر قاطبة يجب ألا يعرف إلا بتعريف الله ولا يعين إلا بتعيينه .

ونعتقد أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نص على خليفته والامام في البرية من بعده ، فعين ابن عمه علي بن أبي طالب أميراً للمؤمنين وأميناً للوحي وإماماً للخلق في عدة مواطن ، ونصبه وأخذ البيعة له بامرة المؤمنين يوم الغدير فقال : (ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وآل من والاه وعاد من عاداه وأنصر من نصره وأخذل من خذله وأدر الحق معه كيفما دار) .

ومن أول مواطن النص على إمامته قوله حينما دعا أقرباءه الأدنين وعشيرته الأقربين فقال . (هذا أخي ووصيي وخليفتي من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا) وهو يومئذ صبي لم يبلغ الحلم . وكرر قوله له في عدة مرات : (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) إلى غير ذلك من روايات وآيات كريمة دلت على ثبوت الولاية العامة له كآية (المائدة : ٥٨) : (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) ، وقد نزلت فيه عندما تصدق بالخاتم وهو راكع ، ولا يساعد وضع هذه الرسالة على إستقصاء كل ما ورد في إمامته من الآيات والروايات ولا بيان وجه دلالتها[١] .

---

(١) راجع كتاب السقيفة للمؤلف فيه بعض الشرح لهذه الشواهد القرآنية وغيرها .

ثم إنه عليه السلام نص على إمامة الحسن والحسين ، والحسين نص على إمامة ولده علي زين العابدين وهكذا إماماً بعد إمام ينص المتقدم منهم على المتأخر إلى آخرهم وهو أخيرهم على ما سيأتي .

* * *

٣٠ ـ عقيدتنا في عدد الأئمة

ونعتقد إن الأئمة الذين لهم صفة الامامة الحقة هم مرجعنا في الأحكام الشرعية المنصوص عليهم بالامامة إثنا عشر إماماً ، نص عليهم النبي صلى الله عليه وآله جميعاً بأسمائهم ، ثم نص المتقدم منهم على من بعده ، على النحو الآتي :

١ ـ أبو الحسن علي بن أبي طالب (المرتضى) المتولد سنة ٢٣ قبل الهجرة والمقتول سنة ٤٠ بعدها .

٢ ـ أبو محمد الحسن بن علي

« الزكي »　　　(٢ ـ ٥٠)

٣ ـ أبو عبد الله الحسين بن علي

« سيد الشهداء »　　　(٣ ـ ٦١)

٤ ـ أبو محمد علي بن الحسين

« زين العابدين »　　　(٣٨ ـ ٩٥)

٥ ـ أبو جعفر محمد بن علي « الباقر » (٥٧ ـ ١١٤)

٦ ـ أبو عبد الله جعفر بن محمد « الصادق »
(٨٣ ـ ١٤٨)

٧ ـ أبو ابراهيم موسى بن جعفر « الكاظم »
(١٢٨ ـ ١٨٣)

٨ ـ أبو الحسن علي بن موسى « الرضا »
(١٤٨ ـ ٢٠٣)

٩ ـ أبو جعفر محمد بن علي « الجواد » (١٩٥ ـ ٢٢٠)

١٠ ـ أبو الحسن علي بن محمد « الهادي »
(٢١٢ ـ ٢٥٤)

١١ ـ أبو محمد الحسن بن علي « العسكري »
(٢٣٢ ـ ٢٦٠)

١٢ ـ أبو القاسم محمد بن الحسن « المهدي »
(٢٥٦ ـ . . .)

وهو الحجة في عصرنا الغائب المنتظر ، عجل الله فرجه وسهل مخرجه ، ليملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً .

* * *

٣١ ـ عقيدتنا في المهدي

إن البشارة بظهور (المهدي) من ولد فاطمة في آخر الزمان ـ ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً ـ ثابتة عن النبي صلى الله عليه وآله بالتواتر ، وسجلها المسلمون جميعاً فيما رووه من الحديث عنه على أختلاف مشاربهم .

وليست هي الفكرة المستحدثة عند(الشيعة) دفع اليها انتشار الظلم والجور ، فحلموا بظهور من يطهر الأرض من رجس الظلم ، كما يريد أن يصورها بعض المغالطين غير المنصفين . ولولا ثبوت (فكرة المهدي) عن النبي على وجه عرفها جميع المسلمين وتشبعت في نفوسهم وإعتقدوها لما كان يتمكن مدعو المهدية في القرون الأولى كالكيسانية والعباسيين وجملة من العلويين وغيرهم ، من خدعة الناس وإستغلال هذه العقيدة فيهم طلباً للملك والسلطان ، فجعلوا إدعاءهم المهدية الكاذبة طريقاً للتأثير على العامة وبسط نفوذهم عليهم .

ونحن مع إيماننا بصحة الدين الإسلامي وإنه خاتمة الأديان الإلٰهية ولا نترقب ديناً آخر لاصلاح البشر ، ومع ما نشاهد من إنتشار الظلم وإستشراء الفساد في العالم على وجه لا تجد للعدل

والصلاح موضع قدم في الممالك المعمورة .. ومع ما نرى من إنكفاء المسلمين أنفسهم عن دينهم وتعطيل أحكامه وقوانينه في جميع الممالك الإسلامية ، وعدم التزامهم بواحد من الألف من أحكام الإسلام - نحن مع كل ذلك لا بد أن ننتظر الفرج بعودة الدين الإسلامي إلى قوته وتمكينه من إصلاح هذا العالم المنغمس بغطرسة الظلم والفساد .

ثم لا يمكن أن يعود الدين الإسلامي إلى قوته وسيطرته على البشر عامة ، وهو على ما عليه اليوم وقبل اليوم من إختلاف معتنقيه في قوانينه وأحكامه وفي أفكارهم عنه ، وهم على ما هم عليه اليوم وقبل اليوم من البدع والتحريفات في قوانينه والضلالات في إدعاءاتهم . نعم لا يمكن أن يعود الدين إلى قوته إلا إذا ظهر على رأسه مصلح عظيم يجمع الكلمة ويرد عن الدين تحريف المبطلين ، ويبطل ما ألصق به من البدع والضلالات بعناية ربانية وبلطف إلهي : ليجعل منه شخصاً هادياً مهدياً ، له هذه المنزلة العظمى والرياسة العامة والقدرة الخارقة ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً .

والخلاصة ان طبيعة الوضع الفاسد في البشر البالغة الغاية في الفساد والظلم - مع الايمان بصحة هذا الدين وأنه الخاتمة للأديان - يقتضي إنتظار هذا المصلح (المهدي) ، لانقاذ العالم مما هو فيه . ولأجل ذلك آمنت بهذا الانتظار جميع الفرق المسلمة ،

بل الأمم من غير المسلمين ، غير أن الفرق بين الأمـامية وغيرها هو أن الأمامية تعتقد أن هذا المصلح المهدي هو شخص معين معروف ولد سنة ٢٥٦ هجرية ولا يزال حياً ، هو ابن الحسن العسكري واسمه (محمد) . وذلك بما ثبت عن النبي وآل البيت من الوعد به وما تواتر عندنا من ولادته وإحتجابه . ولا يجوز أن تنقطع الامامة وتحول في عصر من العصور ، وإن كان الامام مخفياً ، ليظهر في اليوم الموعود به من الله تعالى الذي هو من الأسرار الإلهية التي لا يعلم بها إلا هو تعالى .

ولا يخلو من أن تكون حياته وبقاؤه هذه المدة الطويلة معجزة جعلها الله تعالى له ، وليست هي بأعظم من معجزة أن يكون إماماً للخلق وهو ابن خمس سنين يوم رحل والده إلى الرفيق الأعلى ، ولا هي بأعظم من معجزة عيسى إذ كلم الناس في المهد صبياً وبعث في الناس نبياً .

وطول الحياة أكثر من العمر الطبيعي أو الذي يتخيل أنه العمر الطبيعي لا يمنع منها فن الطب ولا يحيلها ، غير أن الطب بعد لم يتوصل إلى ما يمكنه من تعمير حياة الانسان . وإذا عجز عنه الطب فإن الله تعالى قادر على كل شيء ، وقد وقع فعلاً تعمير نوح وبقاء عيسى عليهما السلام كما أخبر عنهما القرآن الكريم . . ولو شك الشاك فيما أخبر به القرآن فعلى الإسلام السلام .

ومن العجب أن يتساءل المسلم عن إمكان ذلك وهو يدعى

الايمان بالكتاب العزيز .

ومما يجدر أن نذكره في هذا الصدد ونذكر أنفسنا به أنه ليس معنى إنتظار هذا المصلح المنقذ (المهدي) ، أن يقف المسلمون مكتوفي الأيدي فيما يعود إلى الحق من دينهم ، وما يجب عليهم من نصرته والجهاد في سبيله والأخذ بأحكامه ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . بل المسلم أبداً مكلف بالعمل بما أنزل من الأحكام الشرعية ، واجب عليه السعي لمعرفتها على وجهها الصحيح بالطرق الموصلة إليها حقيقة وواجب عليه أن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ما تمكن من ذلك وبلغت إليه قدرته (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) . . فلا يجوز له التأخر عن واجباته بمجرد الانتظار للمصلح المهدي والمبشر الهادي ، فان هذا لا يسقط تكليفاً ، ولا يؤجل عملاً ، ولا يجعل الناس هملاً كالسوائم .

* * *

٣٢ ـ عقيدتنا في الرجعة

إن الذي تذهب إليه الأمامية أخذاً بما جاء عن آل البيت عليهم السلام أن الله تعالى يعيد قوماً من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها ، فيعز فريقاً ويذل فريقاً آخر ، ويديل المحقين من المبطلين والمظلومين منهم من الظالمين ، وذلك عند قيام مهدي آل محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام .

ولا يرجع إلا من علت درجته في الإيمان أو من بلغ الغاية من الفساد ، ثم يصيرون بعد ذلك إلى الموت ، ومن بعده إلى النشور وما يستحقونه من الثواب أو العقاب ، كما حكى الله تعالى في قرآنه الكريم تمنى هؤلاء المرتجعين الذين لم يصلحوا بالإرتجاع فنالوا مقت الله أن يخرجوا ثالثاً لعلهم يصلحون : (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل) « المؤمن : ١١ » .

نعم قد جاء القرآن الكريم بوقوع الرجعة إلى الدنيا ، وتظافرت بها الأخبار عن بيت العصمة . والأمامية بأجمعها عليه إلا قليلون منهم تأولوا ما ورد في الرجعة بأن معناها رجوع الدولة والأمر والنهي إلى آل البيت بظهور الإمام المنتظر ، من دون رجوع أعيان الأشخاص وأحياء الموتى .

والقول بالرجعة يعد عند أهل السنة من المستنكرات التي يستقبح الاعتقاد بها ، وكان المؤلفون منهم في رجال الحديث يعدون الاعتقاد بالرجعة من الطعون في الراوى والشناعات عليه التي تستوجب رفض روايته وطرحها . ويبدو أنهم يعدونها بمنزلة الكفر والشرك بل أشنع ، فكان هذا الاعتقاد من أكبر ما تنبز به الشيعة الامامية ويشنع به عليهم .

ولا شك في أن هذا من نوع التهويلات التي تتخذها الطوائف الإسلامية فيما غبر ذريعة لطعن بعضها في بعض والدعاية ضده .

ولا نرى في الواقع ما يبرر هذا التهويل ، لأن الاعتقاد بالرجعة لا يخدش في عقيدة التوحيد ولا في عقيدة النبوة ، بل يؤكد صحة العقيدتين ، إذ الرجعة دليل القدرة البالغة لله تعالى كالبعث والنشر ، وهي من الأمور الخارقة للعادة التي تصلح أن تكون معجزة لنبينا محمد وآل بيته صلى الله عليه وعليهم وهي عينا معجزة أحياء الموتى التي كانت للمسيح عليه السلام ، بل أبلغ هنا لأنها بعد أن يصبح الأموات رمياً (قال من يحيى العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) « يس : ٧٩ » .

وأما من طعن في الرجعة بإعتبار أنها من التناسخ الباطل ، فلأنه لم يفرق بين معنى التناسخ وبين المعاد الجسماني ، والرجعة من نوع المعاد الجسماني ، فان معنى التناسخ هو إنتقال النفس من بدن إلى بدن آخر منفصل عن الأول ، وليس كذلك معنى المعاد الجسماني ، فإن معناه رجوع نفس البدن الأول بشخصياته النفسية فكذلك الرجعة . وإذا كانت الرجعة تناسخاً فان إحياء الموتى على يد عيسى عليه السلام كان تناسخاً ، وإذا كانت الرجعة تناسخاً كان البعث والمعاد الجسماني تناسخاً .

إذن ، لم يبق إلا إن يناقش في الرجعة من جهتين (الأولى) انها مستحيلة الوقوع (الثانية) كذب الأحاديث الواردة فيها . وعلى تقدير صحة المناقشتين فانه لا يعتبر الاعتقاد بها بهذه الدرجة

من الشناعة التي هولها خصوم الشيعة . وكم من معتقدات لباقي طوائف المسلمين هي من الأمور المستحيلة أو التي لم يثبت فيها نص صحيح ، ولكنها لم توجب تكفيراً وخروجاً عن الإسلام ، ولذلك أمثلة كثيرة : منها الاعتقاد بجواز سهو النبي أو عصيانه ، ومنها الاعتقاد بقدم القرآن . ومنها القول بالوعيد ، ومنها الاعتقاد بأن النبي لم ينص على خليفة من بعده .

على أن هاتين المناقشتين لا أساس لهما من الصحة ، أما أن الرجعة مستحيلة فقد قلنا انها من نوع البعث والمعاد الجسماني غير أنها بعث موقوت في الدنيا ، والدليل على إمكان البعث دليل على إمكانها . ولا سبب لاستغرابها إلا أنها أمر غير معهود لنا فيما ألفناه في حياتنا الدنيا ، ولا نعرف من أسبابها أو موانعها ما يقربها إلى إعترافنا أو يبعدها ، وخيال الإنسان لا يسهل عليه أن يتقبل تصديق ما لم يألفه ، وذلك كمن يستغرب البعث فيقول (من يحيى العظام وهي رميم) فيقال له : (يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) .

نعم في مثل ذلك ، مما لا دليل عقلي لنا على نفيه أو إثباته أو نتخيل عدم وجود الدليل ، يلزمنا الرضوخ إلى النصوص الدينية التي هي من مصدر الوَحي الالهي ، وقد ورد في القرآن الكريم ما يثبت وقوع الرجعة إلى الدنيا لبعض الأموات كمعجزة عيسى عليه السلام في إحياء الموتى (وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى

بإذن الله) وكقوله تعالى (أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه) والآية المتقدمة (قالوا ربنا أمتنا اثنتين . . .) فإنه لا يستقيم معنى هذه الآية بغير الرجوع إلى الدنيا بعد الموت ، وإن تكلف بعض المفسرين في تأويلها بما لا يروي الغليل ولا يحقق معنى الآية .

وأما المناقشة الثانية ، وهي دعوى أن الحديث فيها موضوع ، فإنه لا وجه لها لأن الرجعة من الأمور الضرورية فيما جاء عن آل البيت من الأخبار المتواترة .

وبعد هذا ، أفلا تعجب من كاتب شهير يدعى المعرفة مثل أحمد أمين في كتابه (فجر الإسلام) إذ يقول . (فاليهودية ظهرت في التشيع بالقول بالرجعة) ، فأنا أقول له على مدعاه : فاليهودية أيضاً ظهرت في القرآن بالرجعة ، كما تقدم ذكر القرآن لها في الآيات المتقدمة .

ونزيده فنقول : والحقيقة أنه لا بد أن تظهر اليهودية والنصرانية في كثير من المعتقدات والأحكام الإسلامية لأن النبي الأكرم جاء مصدقاً لما بين يديه من الشرائع السماوية وان نسخ بعض أحكامها ، فظهور اليهودية أو النصرانية في بعض المعتقدات الإسلامية ليس عيباً في الإسلام ، على تقدير أن الرجعة من الآراء اليهودية كما يدعيه هذا الكاتب .

وعلى كل حال فالرجعة ليست من الأصول التي يجب الاعتقاد

بها والنظر فيها ، وإنما إعتقادنا بها كان تبعاً للآثار الصحيحة الواردة عن آل البيت عليهم السلام الذين ندين بعصمتهم من الكذب ، وهي من الأمور الغيبية التي أخبروا عنها ، ولا يمتنع وقوعها .

* * *

٣٣ - عقيدتنا في التقية

روى عن صادق آل البيت عليه السلام في الأثر الصحيح :

« التقية ديني ودين آبائي » و« من لا تقية له لا دين له » .

وكذلك هي ، لقد كانت شعاراً لآل البيت عليهم السلام ، دفعاً للضرر عنهم وعن أتباعهم وحقنا لدمائهم ، وإستصلاحاً لحال المسلمين وجمعاً لكلمتهم ، ولما لشعثهم .

وما زالت سمة تعرف بها الامامية دون غيرها من الطوائف والأمم ، وكل إنسان إذا أحس بالخطر على نفسه أو ماله بسبب نشر معتقده أو التظاهر به لا بد أن يتكتم ويتقي في مواضع الخطر . وهذا أمر تقتضيه فطرة العقول ، ومن المعلوم أن الامامية وأئمتهم لاقوا من ضروب المحن وصنوف الضيق على حرياتهم في جميع العهود ما لم تلاقه أية طائفة أو أمة أخرى ، فاضطروا في أكثر عهودهم إلى إستعمال التقية بمكاتمة المخالفين لهم وترك مظاهرتهم وستر إعتقاداتهم وأعمالهم المختصة بهم عنهم ، لما كان يعقب

ذلك من الضرر في الدين والدنيا . ولهذا السبب إمتازوا (بالتقية) وعرفوا بها دون سواهم .

وللتقية أحكام من حيث وجوبها وعدم وجوبها بحسب إختلاف مواقع خوف الضرر مذكورة في أبوابها في كتب العلماء الفقهية . وليست هي بواجبة على كل حال ، بل قد يجوز أو يجب خلافها في بعض الأحوال كما إذا كان في إظهار الحق والتظاهر به نصرة للدين وخدمة للإسلام ، وجهاد في سبيله ، فإنه عند ذلك يستهان بالأموال ولا تعز النفوس . وقد تحرم التقية في الأعمال التي تستوجب قتل النفوس المحترمة أو رواجاً للباطل ، أو فساداً في الدين ، أو ضرراً بالغاً على المسلمين بإضلالهم أو إفشاء الظلم والجور فيهم . وعلى كل حال ليس معنى التقية عند الامامية أنها تجعل منهم جمعية سرية لغاية الهدم والتخريب ، كما يريد أن يصورها بعض أعدائهم غير المتورعين في إدراك الأمور على وجهها ، ولا يكلفون أنفسهم فهم الرأي الصحيح عندنا . كما أنه ليس معناها إنها تجعل الدين وأحكامه سراً من الأسرار لا يجوز أن يذاع لمن لا يدين به كيف وكتب الامامية ومؤلفاتهم فيما يخص الفقه والأحكام ومباحث الكلام والمعتقدات قد ملأت الخافقين وتجاوزت الحد الذي ينتظر من أية أمة تدين بدينها .

بلى ! إن عقيدتنا في التقية قد إستغلها من أراد التشنيع على الامامية ، فجعلوها من جملة المطاعن فيهم ، وكأنهم كان لا يشفى

غليلهم إلا أن تقدم رقابهم إلى السيوف لاستئصالهم عن آخرهم في تلك العصور التي يكفى فيها أن يقال هذا رجل شيعي ليلاقي حتفه على يد أعداء آل البيت من الأمويين والعباسيين ، بل والعثمانيين .

وإذا كان طعن من أراد أن يطعن يستند إلى زعم عدم مشروعيتها من ناحية دينية ، فإنا نقول له :

« أولاً » إننا متبعون لأئمتنا عليهم السلام ونحن نهتدي بهداهم ، وهم أمرونا بها وفرضوها علينا وقت الحاجة ، وهي عندهم من الدين وقد سمعت قول الصادق عليه السلام :

(من لا تقية له لا دين له) .

« ثانياً » قد ورد تشريعها في نفس القرآن الكريم ذلك قوله تعالى : « النحل : ١٠٦ » (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) وقد نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر الذي التجأ إلى التظاهر بالكفر خوفاً من أعداء الإسلام ، وقوله تعالى : (ألا أن تتقوا منهم تقاة) ، وقوله تعالى « المؤمن : ٢٨ » : (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه) .

الفصل الرابع

ما أدب به آل البيت شيعتهم

تمهيد :

إن الأئمة من آل البيت عليهم السلام علموا من ذي قبل أن دولتهم لن تعود إليهم في حياتهم ، وإنهم وشيعتهم سيبقون تحت سلطان غيرهم ممن يرى ضرورة مكافحتهم بجميع وسائل العنف والشدة .

فكان من الطبيعي - من جهة - أن يتخذوا التكتم « التقية » ديناً وديدناً لهم ولأتباعهم ، ما دامت التقية تحقن من دمائهم ولا تسيء إلى الآخرين ولا إلى الدين ، ليستطيعوا البقاء في هذا الخضم العجاج بالفتن والثائر على آل البيت بالأحن .

وكان من اللازم بمقتضى إمامتهم - من جهة أخرى - أن ينصرفوا إلى تلقين أتباعهم أحكام الشريعة الإسلامية ، وإلى توجيههم توجيهاً دينياً صالحاً ، وإلى أن يسلكوا بهم مسلكاً إجتماعياً مفيداً ، ليكونوا مثال المسلم الصحيح (العادل) .

وطريقة آل البيت في التعليم لا تحيط بها هذه الرسالة ، وكتب الحديث الضخمة متكفلة بما نشروه من تلك المعارف الدينية ، غير

أنه لا بأس أن نشير هنا إلى بعض ما يشبه أن يدخل في باب العقائد فيما يتعلق بتأديبهم لشيعتهم ، بالآداب التي تسلك بهم المسـلك الاجتماعي المفيد ، وتقربهم زلفى إلى الله تعالى ، وتطهر صدورهم من درن الآثام والرذائل ، وتجعل منهم عدولاً صادقين . وقد تقدم الـكلام في (التقية) التـي هي من تلك الآداب المفيدة إجتماعياً لهم ، ونحن ذاكرون هنا بعض ما يعن لنا من هذه الآداب .

* * *

٣٤ ـ عقيدتنا في الدعاء

قال النبي صلى الله عليه وآله : (الدعاء سلاح المؤمن وعمود الـدين ونـور السمـوات والأرض) ، وكذلك هو ، أصبـح من خصائص الشيعة التي إمتازوا بها ، وقد ألفوا في فضله وآدابه وفي الأدعية المأثورة عن آل البيت ما يبلغ عشرات الكتب من مطولـة ومختصرة . وقد أودع في هذه الكتب ما كان يهدف إليه النبي وآل بيته صلى الله عليهم وسلم من الحث على الدعاء والترغيب فيه . حتى جاء عنهم (أفضل العبادة الدعاء) و (أحب الأعمال إلى الله عز وجـل في الأرض الدعـاء) بل ورد عنهـم (إن الدعـاء يرد القضاء والبلاء) و (انه شفاء من كل داء) .

وقد ورد ان (أمير المؤمنـين) صلـوات الله عليه كان رجـلاً (دعاء) ، أي كثير الدعاء . وكذلك ينبغي أن يكون وهـو سيد الموحدين . وقد جاءت أدعيته كخطبه آية من آيات البلاغة العربية

كدعاء كميل بن زياد المشهور ، وقد تضمنت من المعارف الآلهية والتوجيهات الدينية ما يصلح أن تكون منهجاً رفيعاً للمسلم الصحيح .

وفي الحقيقة ان الأدعية الواردة عن النبي وآل بيته عليهم الصلاة والسلام خير منهج للمسلم - إذا تدبرها - تبعث في نفسه قوة الايمان ، والعقيدة وروح التضحية في سبيل الحق ، وتعرفه سر العبادة ، ولذة مناجاة الله تعالى والانقطاع إليه ، وتلقنه ما يجب على الإنسان أن يعلمه لدينه وما يقربه إلى الله تعالى زلفى . ويبعده عن المفاسد والأهواء والبدع الباطلة . وبالاختصار ان هذه الأدعية قد أودعت فيها خلاصة المعارف الدينية من الناحية الخلقية والتهذيبية للنفوس ، ومن ناحية العقيدة الإسلامية ، بل هي من أهم مصادر الآراء الفلسفية والمباحث العلمية في الإلهيات والأخلاقيات .

ولو إستطاع الناس - وما كلهم بمستطيعين - أن يهتدوا بهذا الهدى الذي تثيره هذه الأدعية في مضامينها العالية ، لما كنت تجد من هذه المفاسد المثقلة بها الأرض أثراً ، ولحلقت هذه النفوس المكبلة بالشرور في سماء الحق حرة طليقة ولكن أنى للبشر أن يصغى إلى كلمة المصلحين والدعاة إلى الحق ، وقد كشف عنهم قوله تعالى : (إن النفس لأمارة بالسوء) (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) .

نعم إن ركيزة السوء في الانسان إغتراره بنفسه وتجاهله لمساوئه ومغالطته لنفسه في أنه يحسن صنعاً فيما إتخذ من عمل : فيظلم ويتعدى ويكذب ويراوغ ويطاوع شهواته ما شاء له هواه ، ومع ذلك يخادع نفسه أنه لم يفعل إلا ما ينبغي أن يفعل ، أو يغض بصره متعمداً عن قبيح ما يصنع ويستصغر خطيئته في عينه . وهذه الأدعية المأثورة التي تستمد من منبع الوحي تجاهد أن تحمل الإنسان على الاختلاء بنفسه والتجرد إلى الله تعالى ، لتلقنه الاعتراف بالخطأ وانه المذنب الذي يجب عليه الانقطاع إلى الله تعالى لطلب التوبة والمغفرة ، لتلمسه مواقع الغرور والاجترام في نفسه ، ومثل أن يقول الداعي من دعاء كميل بن زياد :

«إلهي ومولاي! أجريت على حكماً إتبعت فيه هوى نفسي ولم أحترس فيه من تزيين عدوي ، فغرني بما أهوى ، وأسعده على ذلك القضاء ، فتجاوزت بما جرى على من ذلك بعض حدودك ، وخالفت بعض أوامرك » .

ولا شك أن مثل هذا الاعتراف في الخلوة أسهل على الإنسان من الاعتراف علانية مع الناس ، وان كان من أشق أحوال النفس ايضا . وان كان بينه وبين نفسه في خلواته ، ولو تم ذلك للانسان فله شأن كبير في تخفيف غلواء نفسه الشريرة وترويضها على طلب الخير . ومن يريد تهذيب نفسه لا بد أن يصنع لها هذه الخلوة والتفكير فيها بحرية لمحاسبتها ، وخير طريق لهذه الخلوة والمحاسبة أن يواظب على قراءة هذه الأدعية المأثورة التي تصل بمضامينها إلى

أغوار النفس ، مثل أن يقرأ في دعاء أبي حمزة الثمالي ـ رضوان الله تعالى عليه :

« أي رب ! جللني بسترك ، واعف عن توبيخي بكرم وجهك ! » .

فتأمل كلمة « جللني . . » فان فيها ما يثير في النفس رغبتها في كتم ما تنطوي عليه من المساوىء ، ليتنبه الإنسان إلى هذه الدخيلة فيها ويستدرجه إلى أن يعترف بذلك حين يقرأ بعد ذلك :

« فلو اطلع اليوم على ذنبي غيرك ما فعلته ولو خفت تعجيل العقوبة لاجتنبته » .

وهذا الاعتراف بدخيلة النفس وإنتباهه إلى الحرص على كتمان ما عنده من المساوىء يستثيران الرغبة في طلب العفو والمغفرة من الله تعالى لئلا يفتضح عند الناس لو أراد الله أن يعاقبه في الدنيا أو الآخرة على أفعاله ، فيلتذ الإنسان ساعتئذ بمناجاة السر ، وينقطع إلى الله تعالى ويحمده أنه حلم عنه وعفا عنه بعد المقدرة فلم يفضحه ، إذ يقول في الدعاء بعدما تقدم :

« فلك الحمد على حلمك بعد علمك وعلى عفوك بعد قدرتك » .

ثم يوحي الدعاء إلى النفس سبيل الاعتذار عما فرط منها على أساس ذلك الحلم والعفو منه تعالى ، لئلا تنقطع الصلة بين العبد

وربه ، ولتلقين العبد أن عصيانه ليس لنكران الله وإستهانة بأوامره إذ يقول :

« ويحملني ويجرئني على معصيتك حلمك عني ، ويدعوني إلى قلة الحياء سترك على . ويسرعني إلى التوثب على محارمك معرفتي بسعة رحمتك وعظيم عفوك » .

وعلى أمثال هذا النمط تنهج الأدعية في مناجاة السر لتهذيب النفس وترويضها على الطاعات وترك المعاصي . ولا تسمح الرسالة هذه بتكثير النماذج من هذا النوع . وما أكثرها .

ويعجبني أن أورد بعض النماذج من الأدعية الواردة بأسلوب الاحتجاج مع الله تعالى لطلب العفو والمغفرة ، مثل ما تقرأ في دعاء كميل بن زياد :

« وليت شعري يا سيدي ومولاي! أتسلط النار على وجوه خرت لعظمتك ساجدة ، وعلى ألسن نطقت بتوحيدك صادقة وبشكرك مادحة ، وعلى قلوب إعترفت بألوهيتك محققة ، وعلى ضمائر حوت من العلم بك حتى صارت خاشعة ، وعلى جوارح سعت إلى أوطان تعبدك طائعة وأشارت بإستغفارك مذعنة . . ما هكذا الظن بك ولا أخبرنا بفضلك » .

كرر قراءة هذه الفقرات ، وتأمل في لطف هذا الاحتجاج وبلاغته وسحر بيانه ، فهو في الوقت الذي يوحي للنفس الاعتراف بتقصيرها وعبوديتها ، يلقنها عدم اليأس من رحمة الله

تعالى وكرمه ، ثم يكلم النفس بابن عم الكلام ومن طرف خفي لتلقينها واجباتها العليا ، إذ يفرض فيها أنها قد قامت بهذه الواجبات كاملة ، ثم يعلمها أن الانسان بعمل هذه الواجبات يستحق التفضل من الله بالمغفرة ، وهذا ما يشوق المرء إلى أن يرجع إلى نفسه فيعمل ما يجب أن يعمله ان كان لم يؤد تلك الواجبات .

ثم تقرأ أسلوباً آخر من الاحتجاج من نفس الدعاء :

« فهبني يا إلهي وسيدي وربي صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك ! وهبني يا إلهي صبرت على حر نارك فكيف أصبر عن النظر إلى كرامتك » .

وهذا تلقين للنفس بضرورة الالتذاذ بقرب الله تعالى ومشاهدة كرامته وقدرته ، حباً له وشوقاً إلى ما عنده ، وبأن هذا الإلتذاذ ينبغي أن يبلغ من الدرجة على وجه يكون تأثير تركه على النفس أعظم من العذاب وحر النار ، فلو فرض أن الانسان تمكن من أن يصبر على حر النار ، فانه لا يتمكن من الصبر على هذا الترك ، كما تفهمنا هذه الفقرات أن هذا الحب والإلتذاذ بالقرب من المحبوب المعبود خير شفيع للمذنب عند الله لأن يعفو ويصفح عنه . ولا يخفى لطف هذا النوع من التعجب والتملق إلى الكريم الحليم قابل التوب وغافر الذنب .

ولا بأس في أن نختم بحثنا هذا بإيراد دعاء مختصر جامع لمكارم

الأخلاق ولما ينبغي لكل عضـو من الإنسـان وكل صنف منـه أن يكون عليه من الصفات المحمودة .

« اللهم إرزقنا توفيق الطاعة وبعـد المعصية ، وصـدق النية وعرفان الحرمة » .

« وأكرمنـا بالهـدى والإستقامـة ، وسـدد السنتنـا بالصـواب والحكمة وأملأ قلوبنا بالعلم والمعرفة ، وطهر بطوننا من الحـرام والشبهة ، وأكفف أيدينا عن الظلم والسرقة ، وأغضض أبصارنا عن الفجور والخيانة ، وأسدد أسماعنا عن اللغو والغيبة » .

« وتفضل على علمائنا بالزهـد والنصيحـة ، وعلى المتعلمـين بالجهد والرغبة ، وعلى المستمعين بالاتباع والموعظة » .

« وعلى مرضى المسلمين بالشفاء والراحة ، وعلى موتانا بالرأفة وعلى مشايخنا بالوقـار والسكينـة وعلى الشبـاب بالانابـة والتوبـة والرحمة » .

وعلى النســاء بالحياة والعفــة ، وعلى الأغنياء بالتواضــع والسعة ، وعلى الفقراء بالصبر والقناعة » .

« وعلى الغـزاة بالنصر والغلبــة ، وعلى الاسراء بالخــلاص والراحة ، وعلى الأمراء بالعدل والشفقة ، وعلى الرعية بالانصاف وحسن السيرة » .

« وبـارك للحجـاج والـزوار في الـزاد والنفقــة ، وأقض ما

أوجبت عليهم من الحج والعمرة » .

« بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين » .

وإني لموص أخواني القراء ألا تفوتهم الاستفادة من تلاوة هذه الأدعية ، بشرط التدبر في معانيها ومراميها وإحضار القلب والاقبال والتوجه إلى الله بخشوع وخضوع ، وقراءتها كأنها من إنشائه للتعبير بها عن نفسه ، مع إتباع الآداب التي ذكرت لها من طريقة آل البيت ، فإن قراءتها بلا توجه من القلب صرف لقلقة في اللسان ، لا تزيد الإنسان معرفة . ولا تقربه زلفى ، ولا تكشف له مكروباً ، ولا يستجاب معه له دعاء .

(إن الله عز وجل لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساه ، فإذا دعوت فأقبل بقلبك ثم أستيقن بالإجابة[1] .

* * *

٣٥ ـ أدعية الصحيفة السجادية

بعد واقعة الطف الأليمة ، التي أوغل فيها بنو أمية في الاستبداد وولغوا في الدماء وإستهتروا بكل القيم بقى الامام زين العابدين وسيد الساجدين عليه السلام جليس داره ثاكلاً ، لا

---

(١) باب الاقبال على الدعاء من كتاب الدعاء من أصول الكافي عن الامام الصادق عليه السلام .

يتصل به أحد ولا يستطيع أن يفضي إلى الناس بما يجب عليهم وما ينبغي لهم .

فاضطر أن يتخذ من أسلوب الدعاء (الذي قلنا انه أحد الطرق التعليمية لتهذيب النفوس) ذريعة لنشر تعاليم القرآن وآداب الإسلام وطريقة آل البيت ، ولتلقين الناس روحية الدين والزهد ، وما يجب من تهذيب النفوس والأخلاق . وهذه طريقة مبتكرة له في التلقين لا تحوم حولها شبهة المطاردين له ، ولا تقوم بها عليه الحجة لهم ، فلذلك أكثر من هذه الأدعية البليغة ، وقد جمعت بعضها (الصحيفة السجادية) التي سميت (بزبور آل محمد) ، وجاءت في أسلوبها ومراميها في أعلى أساليب الأدب العربي وفي أسمى مرامي الدين الحنيف وأدق أسرار التوحيد والنبوة ، وأصح طريقة لتعليم الأخلاق المحمدية والآداب الإسلامية . وكانت في مختلف الموضوعات التربوية الدينية ، فهي تعليم للدين والأخلاق في أسلوب الدعاء أو دعاء في أسلوب تعليم للدين والأخلاق . وهي بحق بعد القرآن ونهج البلاغة من أعلى أساليب البيان العربي وأرقى المناهل الفلسفية في الإلهيات والأخلاقيات .

فمنها ما يعلمك كيف تمجد الله وتقدسه وتحمده وتشكره وتتوب إليه ، ومنها ما يعلمك كيف تناجيه وتخلو به بسرك وتنقطع إليه ، ومنها ما يبسط لك معنى الصلاة على نبيه ورسله وصفوته من خلقه وكيفيتها ، ومنها ما يفهمك ما ينبغي أن تبر به والديك ،

ومنها ما يشرح لك حقوق الوالد على ولده أو حقوق الولد على والده أو حقوق الجيران أو حقوق الأرحام أو حقوق المسلمين عامة أو حقوق الفقراء على الأغنياء وبالعكس ، ومنها ما ينبهك على ما يجب إزاء الديون للناس عليك وما ينبغي أن تعمله في الشؤون الاقتصادية والمالية ، وما ينبغي أن تعامل به أقرانك وأصدقاءك وسائر الناس ومن تستعملهم في مصالحك ، ومنها ما يجمع لك بين جميع مكارم الأخلاق ويصلح أن يكون منهاجاً كاملاً لعلم الأخلاق .

ومنها ما يعلمك كيف تصبر على المكاره والحوادث وكيف تلاقي حالات المرض والصحة ، ومنها ما يشرح لك واجبات الجيوش الإسلامية وواجبات الناس معهم . . . إلى غير ذلك مما تقتضيه الأخلاق المحمدية والشريعة الإلهية ، وكل ذلك بأسلوب الدعاء وحده .

وتمتاز أدعية الامام في عدة أمور :

(الأول) التعريف بالله تعالى وعظمته وقدرته وبيان توحيده وتنزيهه بأدق التعبيرات العلمية ، وذلك يتكرر في كل دعاء بمختلف الأساليب ، مثل ما تقرأ في الدعاء الأول : (الحمد لله الأول بلا أول كان قبله والآخر بلا آخر يكون بعده ، الذي قصرت عن رؤ يته أبصار الناظرين ، وعجزت عن نعته أوهام الواصفين . إبتدع بقدرته الخلق إبتداعاً وإخترعهم على مشيئته

إختراعاً) فتقرأ دقيق معنى الأول والآخر وتنزه الله تعالى عن أن يحيط به بصر أو وهم ، ودقيق معنى الخلق والتكوين . ثم تقرأ أسلوباً آخر في بيان قدرته تعالى وتدبيره في الدعاء ٦ : (الحمد لله الذي خلق الليل والنهار بقوته وميز بينهما بقدرته ، وجعل لكل منهما حداً محدوداً ، يولج كل واحد منهما في صاحبه ويولج صاحبه فيه ، بتقدير منه للعباد فيما يغذوهم به وينشئهم عليه ، فخلق لهم الليل ليسكنوا فيه من حركات التعب ونهضات النصب ، وجعله لباساً ليلبسوا من راحته ومقامه ، فيكون ذلك لهم جماماً وقوة لينالوا به لذة وشهوة) إلى آخر ما يذكر من فوائد خلق النهار والليل وما ينبغي أن يشكره الإنسان من هذه النعم .

وتقرأ أسلوباً آخر في بيان ان جميع الأمور بيده تعالى في الدعاء ٧ : « يا من تحل به عقد المكاره ويا من يفثأ به حد الشدائد ، ويا من يلتمس منه المخرج إلى روح الفرج ، ذلت لقدرتك الصعاب ، وتسببت بلطفك الأسباب ، وجرى بقدرتك القضاء ومضت على إرادتك الأشياء فهي بمشيئتك دون قولك مؤتمرة ، وبإرادتك دون نهيك منزجرة » .

« الثاني » بيان فضل الله تعالى على العبد وعجز العبد عن أداء حقه ، مهما بالغ في الطاعة والعبادة والانقطاع إليه تعالى ، كما تقرأ في الدعاء ٣٧ : (اللهم ان أحداً لا يبلغ من شكرك غاية إلا حصل عليه من إحسانك ما يلزمه شكراً ، ولا يبلغ مبلغاً من

طاعتك وإن إجتهد إلا كان مقصراً دون إستحقاقك بفضلك ، فإشكر عبادك عاجز عن شكرهم وأعبدهم مقصر عن طاعتك) .

وبسبب عظم نعم الله تعالى على العبد التي لا تتناهى يعجز عن شكره فكيف إذا كان يعصيه مجترئاً ، فمهما صنع بعدئذ لا يستطيع أن يكفر عن معصية واحدة . وهذا ما تصوره الفقرات الآتية من الدعاء ١٦ : (يا إلهي لو بكيت إليك حتى تسقط أشفار عيني ، وإنتحبت حتى ينقطع صوتي ، وقمت لك حتى تتنشر قدماي ، وركعت لك حتى ينخلع صلبي ، وسجدت لك حتى تتفقأ حدقتاى ، وأكلت تراب الأرض طول عمري ، وشربت ماء الرماد آخر دهري ، وذكرتك في خلال ذلك حتى يكل لساني ، ثم لم أرفع طرفي إلى آفاق السماء إستحياء منك ما إستوجبت بذلك محو سيئة واحدة من سيئاتى) .

« الثالث » التعريف بالثواب والعقاب والجنة والنار وأن ثواب الله تعالى كله تفضل ، وأن العبد يستحق العقاب منه بأدنى معصية يجتري بها ، والحجة عليه فيها لله تعالى . وجميع الأدعية السجادية تلهج بهذه النغمة المؤثرة ، للإيحاء إلى النفس الخوف من عقابه تعالى والرجاء في ثوابه . وكلها شواهد على ذلك بأساليبها البليغة المختلفة التي تبعث في قلب المتدبر الرعب والفزع من الاقدام على المعصية .

مثل ما تقرأ في الدعاء ٤٦ : « حجتك قائمة ، وسلطانك

ثابت لا يزول ، فالويل الدائم لمن جنح عنك ، والخيبة الخاذلة لمن خاب منك والشقاء الأشقى لمن إغتر بك . ما أكثر تصرفه في عذابك ، وما أطول تردده في عقابك ! وما أبعد غايته من الفرج ! وما أقنطه من سهولة المخرج ! عدلاً من قضائك لا تجور فيه ، وإنصافاً من حكمك لا تحيف عليه ، فقد ظاهرت الحجج وأبليت الأعذار . . » .

ومثل ما تقرأ في الدعاء ٣١ : « اللهم فارحم وحدتي بين يديك ، ووجيب قلبي من خشيتك ، واضطراب أركاني من هيبتك ، فقد أقامتني - يارب - ذنوبي مقام الخزي بفنائك . فان سكت لم ينطق عني أحد وان شفعت فلست بأهل الشفاعة » .

ومثل ما تقرأ في الدعاء ٣٩ : « فانك أن تكافني بالحق تهلكني وإلا تغمدني برحمتك توبقني . . . وأستحملك من ذنوبي ما قد بهظني حمله وأستعين بك على ما قد فدحني ثقله ، فصل على محمد وآله وهب لنفسي على ظلمها نفسي ، ووكل رحمتك باحتمال أصرى . . . » .

« الرابع » سوق الداعي بهذه الأدعية إلى الترفع عن مساوئ الأفعال وخسائس الصفات ، لتنقية ضميره وتطهير قلبه ، مثل ما تقرأ في الدعاء ٢٠ : « اللهم وفر بلطفك نيتي وصحح بما عندك يقيني ، وإستصلح بقدرتك ما فسد مني » .

« اللهم صل على محمد وآل محمد ومتعني بهدى صالح لا

أستبدل به وطريقة حق لا أزيغ عنها ، ونية رشد لا أشك فيها » .

« اللهم لا تدع خصلة تعاب مني إلا أصلحتها ، ولا عائبة أؤنب بها إلا حسنتها ، ولا أكرومة في ناقصة إلا أتممتها » .

« الخامس » الإيحاء إلى الداعي بلزوم الترفع عن الناس وعدم التذلل لهم ، وألا يضع حاجته عند أحد غير الله ، وأنْ الطمع بما في أيدي الناس من أخس ما يتصف به الإنسان ، مثل ما تقرأ في الدعاء ٢٠ : « ولا تفتني بالاستعانة بغيرك إذا اضطررت ، ولا بالخشوع لسؤال غيرك إذا إفتقرت ، ولا بالتضرع إلى من دونك إذا رهبت ، فاستحق بذلك خذلانك ومنعك وإعراضك » .

ومثل ما نقرأ في الدعاء ٢٨ : « اللهم اني أخلصت بانقطاعي إليك ، وصرفت وجهي عمن يحتاج إلى رفدك ، وقلبت مسألتي عمن لم يستغن عن فضلك ، ورأيت أن طلب المحتاج إلى المحتاج سفه من رأيه وضلة من عقله » .

ومثل ما تقرأ في الدعاء ١٣ : « فمن حاول سد خلته من عندك وأم صرف الفقر عن نفسه بك ، فقد طلب حاجته في مظانها وأتى طلبته من وجهها . ومن توجه بحاجته إلى أحد من خلقك أو جعله سبب نجاحها دونك ، فقد تعرض للحرمان واستحق منك فوت الاحسان » .

« السادس » تعلم الناس وجوب مراعاة حقوق الآخرين ومعاونتهم والشفقة والرأفة من بعضهم لبعض ، والإيثار فيما

بينهم ، تحقيقاً لمعنى الأخوة الإسلامية . مثل ما تقرا في الدعاء ٣٨ : « اللهم اني أعتذر إليك من مظلوم ظلم بحضرتي فلم أنصره ، ومن معروف أسدي إلي فلم أشكره ، ومن مسيء إعتذر إلي فلم أعذره ، ومن ذي فاقة سألني فلم أوثره ، ومن حق ذي حق لزمني لمؤمن فلم أوفره ، ومن عيب مؤمن ظهر لي فلم أستره . . . » . ان هذا الاعتذار من أبدع ما ينبه النفس إلى ما ينبغي عمله من هذه الأخلاق الالهية العالية .

وفي الدعاء ٣٩ ما يزيد على ذلك ، فيعلمك كيف يلزمك أن تعفو عمن أساء إليك ويحذرك من الانتقام منه ، ويسمو بنفسك إلى مقام القديسين « اللهم وإيما عبد نال مني ما حظرت عليه وإنتهكت مني ما حجرت عليه ، فمضى بظلامتي ميتاً أو حصلت لي قبله حياً . فاغفر له ما ألم به مني ، واعف له عما أدبر به عني ، ولا تقفه على ما ارتكب فيَّ ، ولا تكشفه عما إكتسب بي ، واجعل ما سمحت به من العفو عنهم وتبرعت من الصدقة عليهم أزكى صدقات المتصدقين وأعلى صلات المتقربين ، وعوضني من عفوي عنهم عفوك ومن دعائي لهم رحمتك ، حتى يسعد كل واحد منا بفضلك » .

ما أبدع هذه الفقرة الأخيرة وما أجمل وقعها في النفوس الخيرة لتنبيهها على لزوم سلامة النية مع جميع الناس وطلب السعادة لكل أحد حتى من يظلمه ويعتدي عليه . ومثل هذا كثير في الأدعية السجادية وما أكثر ما فيها من هذا النوع من التعاليم السماوية

المهذبة لنفوس البشر لو كانوا يهتدون .

* * *

٣٦ ـ عقيدتنا في زيارة القبور

ومما إمتازت به الامامية بزيارة القبور « قبور النبي والأئمة عليهم الصلاة والسلام » وتشييدها وإقامة العمارات الضخمة عليها ، ولأجلها يضحون بكل غال ورخيص عن إيمان وطيب نفس .

ومرد كل ذلك إلى وصايا الأئمة ، وحثهم شيعتهم على الزيارة ، وترغيبهم فيما لها من الثواب الجزيل عند الله تعالى ، بإعتبار أنها من أفضل الطاعات والقربات بعد العبادات الواجبة ، و باعتبار ان هاتيك القبور من خير المواقع لإستجابة الدعاء والانقطاع إلى الله تعالى . وجعلوها أيضاً من تمام الوفاء بعهود الأئمة ، (إذ أن لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته ، وأن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم ، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعائهم يوم القيامة[1]) .

وفي زيارة القبور من الفوائد الدينية والإجتماعية ما تستحق العناية من أئمتنا ، فانها في الوقت الذي تزيد من رابطة الولاء

---

(١) من قول الامام الرضا عليه السلام . راجع كامل الزيارات لابن قولويه ص ١٢٢ .

والمحبة بين الأئمة وأوليائهم ، وتجدد في النفوس ذكر مآثرهم وأخلاقهم وجهادهم في سبيل الحق ، تجمع في مواسمها أشتات المسلمين المتفرقين على صعيد واحد ، ليتعارفوا ويتآلفوا ، ثم تطبع في قلوبهم روح الانقياد إلىّ الله تعالى والانقطاع إليه وطاعة أوامره ، وتلقنهم في مضامين عبارات الزيارات البليغة الواردة عن آل البيت حقيقة التوحيد والاعتراف بقدسية الإسلام والرسالة المحمدية ، وما يجب على المسلم من الخلق العالي الرصين والخضوع إلى مدبر الكائنات وشكر آلائه ونعمه ، فهي من هذه الجهة تقوم بنفس وظيفة الأدعية المأثورة التي تقدم الكلام عليها ، بل بعضها يشتمل على أبلغ الأدعية وأسماها كزيارة (أمين الله) وهي الزيارة المروية عن الامام « زين العابدين » عليه السلام حينما زار قبر جده « أمير المؤمنين » عليه السلام .

كما تفهم هذه الزيارات المأثورة مواقف الأئمة عليهم السلام وتضحياتهم في سبيل نصرة الحق وإعلاء كلمة الدين وتجردهم لطاعة الله تعالى ، وقد وردت بأسلوب عربي جزل ، وفصاحة عالية ، وعبارات سهلة يفهمها الخاصة والعامة ، وهي محتوية على أسمى معاني التوحيد ودقائقه والدعاء والابتهال إليه تعالى . فهي بحق من أرقى الأدب الديني بعد القرآن الكريم ونهج البلاغة والأدعية المأثورة عنهم ، إذ أودعت فيها خلاصة معارف الأئمة عليهم السلام فيما يتعلق بهذه الشؤون الدينية والتهذيبية .

ثم أن في آداب الزيارة أيضاً من التعليم والارشاد ما يؤكد

من تحقيق تلك المعاني الدينية السامية : من نحو رفع معنوية المسلم وتنمية روح العطف على الفقير ، وحمله على حسن العشرة والسلوك والتحبب إلى مخالطة الناس . فان من آدابها ما ينبغي أن يصنع قبل البدء بالدخول في (المرقد المطهر) وزيارته .

ومنا ما ينبغي أن يصنع في أثناء الزيارة وفيما بعد الزيارة . ونحن هنا نعرض بعض هذه الآداب للتنبيه على مقاصدها التي قلناها :

١ ـ من آدابها أن يغتسل الزائر قبل الشروع بالزيارة ويتطهر ، وفائدة ذلك فيما نفهمه واضحة ، وهي أن ينظف الانسان بدنه من الأوساخ ليقيه من كثير من الأمراض والأدواء ، ولئلا يتأفف من روائحه الناس[1] ، وأن يطهر نفسه من الرذائل . وقد ورد في المأثور أن يدعو الزائر بعد الإنتهاء من الغسل لغرض تنبيهه على تلكم الأهداف العالية فيقول : (اللهم اجعل لي نوراً وطهوراً وحرزاً كافياً من كل داء وسقم ومن كل آفة وعهة ، وطهر به قلبي وجوارحي وعظامي ولحمي ودمي وشعري وبشري ومخي وعظمي وما أقلت الأرض مني ، واجعل لي شاهداً يوم حاجتي وفقري وفاقتي) .

٢ ـ أن يلبس أحسن وأنظف ما عنده من الثياب ، فان في

---

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام : « تنظفوا بالماء من الريح المنتنة وتعهدوا أنفسكم ، فإن الله يبغض من عباده القاذورة الذي يتأفف من جلس إليه » تحف العقول ص ٢٤ .

الأناقة في الملبس في المواسم العامة ما يحبب الناس بعضهم إلى بعض ويقرب بينهم ويزيد في عزة النفوس والشعور بأهمية الموسم الذي يشترك فيه .

ومما ينبغي أن نلفت النظر إليه في هذا التعليم انه لم يفرض فيه أن يلبس الزائر أحسن الثياب على العموم ، بل يلبس أحسن ما يتمكن عليه . إذ ليس كل أحد يستطيع ذلك وفيه تضييق على الضعفاء لا تستدعيه الشفقة فقد جمع هذا الأدب بين ما ينبغي من الأناقة وبين رعاية الفقير وضعيف الحال .

٣ ـ أن يتطيب ما وسعه الطيب ، وفائدته كفائدة أدب لبس أحسن الثياب .

٤ ـ أن يتصدق على الفقراء بما يعن له أن يتصدق به . ومن المعلوم فائدة التصدق في مثل هذه المواسم ، فان فيه معاونة المعوزين وتنمية روح العطف عليهم .

٥ ـ أن يمشي على سكينة ووقار غاضاً من بصره . وواضح ما في هذا من توقير للحرم والزيارة وتعظيم للمزور وتوجه إلى الله تعالى وإنقطاع إليه ، مع ما في ذلك من إجتناب مزاحمة الناس ومضايقتهم في المرور وعدم إساءة بعضهم إلى بعض .

٦ ـ أن يكبر بقول : « الله أكبر » ويكرر ذلك ما شاء . وقد تحدد في بعض الزيارات إلى أن تبلغ المائة . وفي ذلك فائدة أشعار النفس بعظمة الله وأنه لا شيء أكبر منه . وان الزيارة ليست إلا

لعبادة الله وتعظيمه وتقديسه في احياء شعائر الله وتأييد دينه .

٧ ـ وبعد الفراغ من الزيارة للنبي أو الامام يصلي ركعتين على الأقل ، تطوعاً وعبادة لله تعالى ليشكره على توفيقه إياه ، ويهدي ثواب الصلاة إلى المزور . وفي الدعاء المأثور الذي يدعو به الزائر بعد هذه الصلاة ما يفهم الزائر ، ان صلاته وعمله إنما هو لله وحده وأنه لا يعبد سواه ، وليست الزيارة إلا نوع من التقرب إليه تعالى زلفى ، إذ يقول :

« اللهم لك صليت ولك ركعت ولك سجدت وحدك لا شريك لك ، لأنه لا تكون الصلاة والركوع والسجود إلا لك ، لأنك أنت الله لا إله إلا أنت . اللهم صل على محمد وآل محمد ، وتقبل مني زيارتي واعطني سؤلي بمحمد وآله الطاهرين » .

وفي هذا النوع من الأدب ما يوضح لمن يريد أن يفهم الحقيقة عن مقاصد الأئمة وشيعتهم تبعاً لهم في زيارة القبور ، وما يلقم المتجاهلين حجراً حينما يزعمون أنها عندهم من نوع عبادة القبور والتقرب إليها والشرك بالله . وأغلب الظن أن غرض أمثال هؤلاء هو التزهيد فيما يجلب لجماعة الامامية من الفوائد الاجتماعية الدينية في مواسم الزيارات ، إذ أصبحت شوكة في أعين أعداء آل بيت محمد ، وإلا فما نظنهم يجهلون حقيقة مقاصد آل البيت فيها . حاشا أولئك الذين أخلصوا لله نياتهم وتجردوا له في عباداتهم ، وبذلوا مهجهم في نصرة دينه أن يدعوا الناس إلى الشرك في عبادة الله .

٨ ـ ومن آداب الزيارة (أن يلزم للزائر حسن الصحبة لمن يصحبه وقلة الكلام إلا بخير ، وكثرة ذكر الله[1] ، والخشوع وكثرة الصلاة والصلاة على محمد وآل محمد ، وأن يغض من بصره ، وأن يعدو إلى أهل الحاجة من إخوانه إذا رأى منقطعاً ، والمواساة لهم ، والورع عما نهى عنه وعن الخصومة وكثرة الايمان والجدال الذي فيه الإيمان)[2] .

ثم انه ليست حقيقة الزيارة إلا السلام على النبي أو الامام باعتبار أنهم « أحياء عند ربهم يرزقون » ، فهم يسمعون الكلام ويردون الجواب : ويكفي أن يقول فيها مثلاً : (السلام عليك يا رسول الله) غير أن الأولى أن يقرأ فيها المأثور الوارد من الزيارات عن آل البيت ، لما فيها ـ كما ذكرنا ـ من المقاصد العالية والفوائد الدينية ، مع بلاغتها وفصاحتها ، ومع ما فيها من الأدعية العالية التي يتجه بها الانسان إلى الله تعالى وحده .

* * *

٣٧ ـ عقيدتنا في معنى التشيع عند آل البيت

إن الأئمة من آل البيت عليهم السلام لم تكن لهم همة ـ بعد

---

(١) ليس المراد من كثرة ذكر الله تكرار التسبيح والتكبير ونحوهما فقط ، بل المراد ما ذكره الصادق عليه السلام في بعض الحديث في تفسير ذكر الله كثيراً انه قال : « اما اني لا اقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، وان كان هذا من ذاك ولكن ذكر الله في كل موطن إذا هجمت على طاعة او معصية » .

(٢) راجع كامل الزيارات ص ١٣١ .

أن إنصرفوا عن أن يرجع أمر الأمة اليهم - إلا تهذيب المسلمين وتربيتهم تربية صالحة كما يريدها الله تعالى منهم ، فكانوا مع كل من يواليهم ويأتمنونه على سرهم يبذلون قصارى جهدهم في تعليمه الأحكام الشرعية وتلقينه المعارف المحمدية ، ويعرفونه ما له وما عليه .

ولا يعتبرون الرجل تابعاً وشيعة لهم إلا إذا كان مطيعاً لأمر الله مجانباً لهواه آخذاً بتعاليمهم وإرشاداتهم . ولا يعتبرون حبهم وحده كافياً للنجاة كما قد يمني نفسه بعض من يسكن إلى الدعة والشهوات ،ويلتمس عذراً في التمرد على طاعة الله سبحانه . انهم لا يعتبرون حبهم وولاءهم منجاة إلا إذا إقترن بالأعمال الصالحة ، وتحلى الموالي لهم بالصدق والأمانة والورع والتقوى .

« يا خيثمة ! أبلغ الينا أنه لا نغنى عنهم من الله شيئاً إلا بعمل ، وانهم لن ينالوا ولايتنا إلا بالورع ، وان أشد الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثم خالفه إلى غيره »[1] .

بل هم يريدون من أتباعهم أن يكونوا دعاة للحق وأدلاء على الخير والرشاد ، ويرون أن الدعوة بالعمل أبلغ من الدعوة باللسان : « كونوا دعاة للناس بالخير بغير السنتكم ، ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع »[2] .

---

(١) أصول الكافي كتاب باب زيارة الأخوان .

(٢) نفس المصدر باب الورع .

ونحن نذكر لك الآن بعض المحاورات التي جرت لهم مع بعض أتباعهم ، لتعرف مدى تشديدهم وحرصهم على تهذيب أخلاق الناس :

١ ـ محاورة أبي جعفر الباقر عليه السلام مع جابر الجعفي[١] .

« يا جابر ! يكتفي من ينتحل (التشيع) أن يقول بحبنا أهل البيت ! فو الله ما (شيعتنا) إلا من إتقى الله وأطاعه » .

« وما كانوا يعرفون إلا بالتواضع ، والتخشع ، والأمانة ، وكثرة ذكر الله ، والصوم والصلاة ، والبر بالوالدين ، والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام ، وصدق الحديث ، وتلاوة القرآن ، وكف الألسن عن الناس إلا من خير ، وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء » .

« فاتقوا الله واعملوا لما عند الله ! ليس بين الله وبين أحد قرابة . أحب العباد إلى الله عز وجل أتقاهم وأعملهم بطاعته »[٢] .

« يا جابر والله ما تتقرب إلى الله تبارك وتعالى إلا بالطاعة ، وما معنا براءة من النار ، ولا على الله لأحد من حجة من كان لله مطيعاً

(١) نفس المصدر باب الطاعة والتقوى .
(٢) وبهذا المعنى قال أمير المؤمنين في خطبته القاصعة :
« إن حكمه في أهل السماء وأهل الأرض واحد ، وما بين الله وبين أحد من خلقه هوادة في إباحة حمى حرمه على العالمين » .

فهو لنا ولي ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو . وما تنال ولايتنا إلا بالعمل والورع » .

٢ ـ محاورة أبي جعفر أيضاً مع سعيد بن الحسن[١] :

أبو جعفر : أيجيء أحدكم إلى أخيه فيدخل يده في كيسه فيأخذ حاجته فلا يدفعه ؟

سعيد : ما أعرف ذلك فينا .

أبو جعفر : فلا شيء إذن .

سعيد : فالهلاك إذن .

أبو جعفر : إن القوم لم يعطوا أحلامهم بعد .

٣ ـ محاورة أبي عبد الله الصادق (ع) مع أبي الصباح الكناني[٢] :

الكناني : لأبي عبد الله : ما نلقى من الناس فيك ؟ !

أبو عبد الله : وما الذي تلقى من الناس ؟

الكناني : لا يزال يكون بيننا وبين الرجل الكلام ، فيقول : جعفري خبيث .

أبو عبد الله : يعيركم الناس بي ؟ !

---

(١) أصول الكافي كتاب الايمان : باب حق المؤمن على أخيه .

(٢) نفس المصدر باب الورع .

الكناني : نعم !

أبو عبد الله : ما أقل والله من يتبع جعفراً منكم ! إنما أصحابي من إشتد ورعه ، وعمل لخالقه ، ورجا ثوابه . هؤلاء أصحابي !

٤ ـ ولأبي عبد الله عليه السلام كلمات في هذا الباب نقتطف منها ما يلي :

أ ـ (ليس منا ـ ولا كرامة ـ من كان في مصر فيه مائة ألف أو يزيدون ، وكان في ذلك المصر أحد أورع منه) .

ب ـ (انا لا نعد الرجل مؤمناً حتى يكون لجميع أمرنا متبعاً ومريداً إلا وان من اتباع أمرنا وإرادته الورع . فتزينوا به يرحمكم الله) .

ج ـ (ليس من شيعتنا من لا تتحدث المخدرات بورعه في خدورهن ، وليس من أوليائنا من هو في قرية فيها عشرة آلاف رجل فيهم خلق لله أورع منه) .

د ـ (إنما شيعة « جعفر » من عف بطنه وفرجه واشتد جهاده وعمل لخالقه ورجا ثوابه وخاف عقابه . فإذا رأيت أولئك فأولئك شيعة جعفر) .

* * *

٣٨ ـ عقيدتنا في الجور والظلم

من أكبر ما كان يأخذه الأئمة عليهم السلام على الإنسان من الذنوب : الظلم والعدوان على الغير ، وذلك إتباعاً لما جاء في القرآن الكريم من إستنكار الظلم ، مثل قوله تعالى : (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) .

وقد جاء في كلام أمير المؤمنين عليه السلام ما يبلغ الغاية في تصوير الظلم ، كقوله في نهج البلاغة برقم ٢١٩ : (والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصى الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت) . وهذا غاية ما يمكن أن يتصوره الإنسان في التعفف عن الظلم والحذر من الجور وإستنكاره . إنه لا يظلم « نملة » في قشرة شعيرة وان أعطى الأقاليم السبعة . فكيف حال من يلغ في دماء المسلمين وينهب أموال الناس ويستهين في أعراضهم وكراماتهم ؟ كيف يكون قياسه إلى فعل أمير المؤمنين ؟ وكيف تكون منزلته من فقهه صلوات الله عليه ؟ أن هذا هو الأدب الإلهي الرفيع الذي يتطلبه الدين من البشر .

نعم : إن الظلم من أعظم ما حرم الله تعالى ، فلذا أخذ من أحاديث آل البيت وأدعيتهم المقام الأول في ذمه وتنفير أتباعهم عنه .

وهذه سياستهم عليهم السلام ، وعليها سلوكهم حتى مع من

يعتدي عليهم . وقصة الامام الحسن عليه السلام معروفة في حلمه عن الشامي الذي إجترأ عليه وشتمه ، فلاطفه الامام وعطف عليه ، حتى أشعره بسوء فعلته . وقد قرأت آنفاً في دعاء سيد الساجدين من الأدب الرفيع في العفو عن المعتدين وطلب المغفرة لهم . وهو غاية ما يبلغه السمو النفسي والإنسانية الكاملة ، وان كان الاعتداء على الظالم بمثل ما إعتدى جائزاً في الشريعة وكذا الدعاء عليه جائز مباح ، ولكن الجواز شيء ، والعفو الذي هو من مكارم الأخلاق شيء آخر ، بل عند الأئمة أن المبالغة في الدعاء على الظالم قد تعد ظلماً ، قال الصادق عليه السلام (ان العبد ليكون مظلوماً فما يزال يدعو حتى يكون ظالماً) أي حتى يكون ظالماً في دعائه على الظالم بسبب كثرة تكراره . يا سبحان الله ! أيكون الدعاء على الظالم إذا تجاوز الحد ظلماً ؟ إذا ما حال من يبتدىء بالظلم والجور ، ويعتدي على الناس ، أو ينهش أعراضهم ، أو ينهب أموالهم أو يشي عليهم عند الظالمين ، أو يخدعهم فيورطهم في المهلكات أو ينبزهم ويؤذيهم ، أو يتجسس عليهم ؟ ما حال أمثال هؤلاء في فقه آل البيت عليهم السلام ؟ ان امثال هؤلاء أبعد الناس عن الله تعالى ، وأشدهم أثماً وعقاباً ، وأقبحهم أعمالاً وأخلاقاً .

* * *

٣٩ ـ عقيدتنا في التعاون مع الظالمين

ومن خطر الظلم وسوء مغبته أن نهى الله تعالى عن معاونة

الظالمين والركون إليهم (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكهم النار وما لكم من دون الله أولياء ثم لا تنصرون) .

هذا هو أدب القرآن الكريم ، وهو أدب آل البيت عليهم السلام . وقد ورد عنهم ما يبلغ الغاية من التنفير عن الركون إلى الظالمين ، والاتصال بهم ومشاركتهم في أي عمل كان ومعاونتهم ، ولو بشق تمرة .

ولا شك أن أعظم ما مني به الإسلام والمسلمون هو التساهل مع أهل الجور ، والتغاضي عن مساوئهم ، والتعامل معهم ، فضلاً عن ممالأتهم ومناصرتهم وإعانتهم على ظلمهم . وما جر الويلات على الأمة الإسلامية إلا ذلك الإنحراف عن جدد الصواب والحق ، حتى ضعف الدين بمرور الأيام ، فتلاشت قوته . ووصل إلى ما هو عليه اليوم ، فعاد غريباً . وأصبح المسلمون ـ أو ما يسمون أنفسهم بالمسلمين ـ وما لهم من دون الله أولياء ثم لا ينصرون حتى على أضعف أعدائهم وأرذل المجترئين عليهم ، كاليهود الأذلاء ، فضلاً عن الصليبيين الأقوياء .

لقد جاهد الأئمة عليهم السلام في أبعاد من يتصل بهم عن التعاون مع الظالمين ، وشددوا على أوليائهم في مسايرة أهل الظلم والجور وممالأتهم ، ولا يحصى ما ورد عنهم في هذا الباب . ومن ذلك ما كتبه الامام زين العابدين عليه السلام إلى محمد بن مسلم الزهري بعد أن حذره من إعانة الظلمة على ظلمهم : (أو ليس

بدعائهم إياك حين دعوك جعلوك قطباً أداروا بك رحى مصائبهم ، وجسراً يعبرون عليك إلى بلاياهم ، وسلماً إلى ضلالتهم ، داعياً إلى غيهم ، سالكاً سبيلهم . . يدخلون بك الشك على العلماء ، ويقتادون بك قلوب الجهال اليهم . . فلم يبلغ أخص وزرائهم ولا أقوى أعوانهم إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم ، وإختلاف الخاصة والعامة اليهم . فما أقل ما أعطوك في قدر ما أخذوا منك ، وما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك . فانظر لنفسك ، فانه لا ينظر لها غيرك ، وحاسبها حساب رجل مسؤول . . .)[1] .

ما أعظم كلمة (وحاسبها حساب رجل مسؤول) ، فإن الإنسان حينما يغلبه هواه يستهين في أغوار مكنون سره بكرامة نفسه ، بمعنى أنه لا يجده مسؤولاً عن أعماله ، ويستحقر ما يأتي به من أفعال ، ويتخيل أنه ليس بذلك الذي يحسب له الحساب على ما يرتكبه ويقترفه أن هذا من أسرار النفس الإنسانية الأمارة . فأراد الإمام أن ينبه الزهري على هذا السر النفساني في دخيلته الكامنة ، لئلا يغلب عليه الوهم فيفرط في مسؤوليته عن نفسه .

وأبلغ من ذلك في تصوير حرمة معاونة الظالمين حديث صفوان الجمال مع الامام موسى الكاظم عليه السلام ، وقد كان من شيعته ورواة حديثه الموثقين .

---

(١) راجع تحف العقول ص ٦٦ .

قال ـ حسب رواية الكشي في رجاله بترجمة صفوان ـ : دخلت عليه ، فقال لي : يا صفوان كل شيء منك حسن جميل ، خلا شيئاً واحداً .

قلت : جعلت فداك ! أي شيء ؟

قال : كراك جمالك من هذا الرجل (يعني هارون) .

قلت : والله ما أكريته أشراً ولا بطراً ، ولا للصيد ، ولا للهو ، ولكن أكريته لهذا الطريق (يعني طريق مكة) ولا أتولاه بنفسي . . ولكن أبعث معه غلماني .

قال : يا صفوان أيقع كراك عليهم ؟

قلت : نعم جعلت فداك .

قال : أتحب بقاهم حتى يخرج كراك ؟

قلت : نعم .

قال : فمن أحب بقاهم فهو منهم ، ومن كان منهم فهو كان ورد النار .

قال صفوان : فذهبت وبعت جمالي عن آخرها .

فإذا كان نفس حب حياة الظالمين وبقائهم بهذه المنزلة ، فكيف بمن يستعينون به على الظلم أو يؤ يدهم في الجور ، وكيف حال من يدخل في زمرتهم أو يعمل بأعمالهم أو يواكب قافلتهم أو يأتمر بأمرهم .

* * *

٤٠ ـ عقيدتنا في الوظيفة في الدولة الظالمة

إذا كانت معاونة الظالمين ولو بشق تمرة ، بل حب بقائهم ، من أشد ما حذر منه الأئمة عليهم السلام ، فما حال الاشتراك معهم في الحكم والدخول في وظائفهم وولاياتهم ، بل ما حال من يكون من جملة المؤسسين لدولتهم ، أو من كان من أركان سلطانهم والمنغمسين في تشييد حكمهم (وذلك أن ولاية الجائر دروس الحق كله ، وأحياء الباطل كله ، وإظهار الظلم والجور والفساد) كما جاء في حديث تحف العقول عن الصادق عليه السلام .

غير أنه ورد عنهم عليهم السلام جواز ولاية الجائر ، إذا كان فيها صيانة العدل وإقامة حدود الله ، والاحسان إلى المؤمنين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (إن لله في أبواب الظلمة من نور الله به البرهان ، ومكن له في البلاد ، فيدفع بهم عن أوليائه ، ويصلح بهم أمور المسلمين . . أولئك هم المؤمنون حقاً ، أولئك منار الله في أرضه ، أولئك نور الله في رعيته) . . كما جاء في الحديث عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام . وفي هذا الباب أحاديث كثيرة توضح النهج الذي ينبغي أن يجري عليه الولاة والموظفون . مثل ما في رسالة الصادق عليه السلام إلى عبد الله النجاشي أمير الأهواز (راجع الوسائل ـ كتاب البيع ـ الباب ٧٨) .

* * *

٤١ ـ عقيدتنا في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية

عرف آل البيت عليهم السلام بحرصهم على بقاء مظاهر الإسلام ، والدعوة إلى عزته ، ووحدة كلمة أهله ، وحفظ التآخي بينهم ، ورفع السخيمة من القلوب والأحقاد من النفوس .

ولا ينسى موقف أمير المؤمنين عليه السلام مع الخلفاء الذين سبقوه ، مع تواجده عليهم وإعتقاده بغصبهم لحقه ، فجاراهم وسالمهم ، بل حبس رأيه في أنه المنصوص عليه بالخلافة ، حتى أنه لم يجهر في حشد عام بالنص إلا بعد أن آل الأمر إليه ، فإستشهد بمن بقى من الصحابة عن نص (الغدير) في يوم (الرحبة) المعروف . وكان لا يتأخر عن الاشارة عليهم فيما يعود على المسلمين أو للإسلام بالنفع والمصلحة ، وكم كان يقول عن ذلك العهد : (فخشيت ان لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً) .

كما لم يصدر منه ما يؤثر على شوكة حكمهم أو يضعف من سلطانهم أو يقلل من هيبتهم ، فإنكمش على نفسه وجلس حلس البيت ، بالرغم مما كان يشهده منهم . كل ذلك رعاية لمصلحة الإسلام العامة ، ورعاية أن لا يرى في الإسلام ثلماً أو هدماً ، حتى عرف ذلك منه . وكان الخليفة عمر بن الخطاب يقول ويكرر القول : **(لا كنت لمعضلة ليس لها أبو الحسن)** أو **(لولا علي لهلك عمر)** .

ولا ينسى موقف الحسن بن علي عليه السلام من الصلح مع معاوية ، بعد أن رأى أن الاصرار على الحرب سيديل من ثقل الله الأكبر ومن دولة العدل ، بل اسم الإسلام إلى آخر الدهر ، فتمحى الشريعة الإلهية ويقضى على البقية الباقية من آل البيت ، ففضل المحافظة على ظواهر الإسلام واسم الدين ، وان سالم معاوية العدو الألد للدين وأهله ، والخصم الحقود له ولشيعته ، مع ما يتوقع من الظلم والذل له ولأتباعه ، وكانت سيوف بني هاشم وسيوف شيعته مشحوذة تأبى أن تغمد ، دون أن تأخذ بحقها من الدفاع والكفاح ، ولكن مصلحة الإسلام العليا كانت عنده فوق جميع هذه الاعتبارات .

وأما الحسين الشهيد عليه السلام فلئن نهض فلأنه رأى من بني أمية أن دامت الحال لهم ولم يقف في وجههم من يكشف سوء نياتهم ، سيمحون ذكر الإسلام ويطيحون بمجده ، فأراد أن يثبت للتاريخ جورهم وعدوانهم، ويفضح ما كانوا يبيتونه لشريعة الرسول ، وكان ما أراد . ولولا نهضته المباركة لذهب الإسلام في خبر كان يتلهى بذكره التاريخ كأنه دين باطل ، وحرص الشيعة على تجديد ذكراه بشتى أساليبهم إنما هو لاتمام رسالة نهضته في مكافحة الظلم والجور ولاحياء أمره إمتثالاً لأوامر الأئمة من بعده .

ويتجلى لنا حرص آل البيت عليهم السلام على بقاء عز الإسلام ، وان كان ذو السلطة من ألد أعدائهم ، في موقف الامام

زين العابدين عليه السلام من ملوك بني أمية ، وهو الموتور لهم ، والمنتهكة في عهدهم حرمته وحرمه ، والمحزون على ما صنعوا مع أبيه وأهل بيته في واقعة كربلاء ، فإنه ـ مع كل ذلك ـ كان يدعو في سره لجيوش المسلمين بالنصر وللإسلام بالعز وللمسلمين بالدعة والسلامة ، وقد تقدم أنه كان سلاحه الوحيد في نشر المعرفة هو الدعاء ، فعلم شيعته كيف يدعون للجيوش الإسلامية والمسلمين ، كدعائه المعروف بـ (دعاء أهل الثغور) الذي يقول فيه : (اللهم صلِ على محمد وآل محمد ، وكثر عددهم ، واشحذ أسلحتهم ، وأحرس حوزتهم ، وامنع حومتهم ، وألف جمعهم ، ودبر أمرهم ، وواتر بين ميرهم ، وتوحد بكفاية مؤنهم ، واعضدهم بالنصر ، وأعنهم بالصبر ، والطف لهم في المكر) إلى أن يقول ـ بعد أن يدعو على الكافرين ـ : (اللهم وقو بذلك محال أهل الإسلام وحصن به ديارهم ، وثمر به أموالهم ، وفرغهم عن محاربتهم لعبادتك ، وعن منابذتهم للخلوة بك ، حتى لا يعبد في بقاع الأرض غيرك ، ولا تعفر لأحد منهم جبهة دونك[1] .

وهكذا يمضي في دعائه البليغ ـ وهو من أطول أدعيته ـ في توجيه الجيوش المسلمة إلى ما ينبغي لها من مكارم الأخلاق وأخذ العدة للأعداء ، وهو يجمع إلى التعاليم الحربية للجهاد الإسلامي

---

(١) ما أجمل هذا الدعاء . . وأجدر بالمسلمين في هذه العصور أن يتلو هذا الدعاء ليعتبروا به وليبتهلوا الى الله تعالى في جمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم وتنوير عقولهم .

بيان الغاية منه وفائدته ، كما ينبه المسلمين إلى نوع الحذر من أعدائهم وما يجب أن يتخذوه في معاملتهم ومكافحتهم ، وما يجب عليهم من الانقطاع إلى الله تعالى والانتهاء عن محارمه ، والاخلاص لوجهه الكريم في جهادهم .

وكذلك باقي الأئمة عليهم السلام في مواقفهم مع ملوك عصرهم ، وان لاقوا منهم أنواع الضغط والتنكيل ، فانهم لما علموا أن دولة الحق لا تعود اليهم إنصرفوا إلى تعليم الناس معالم دينهم وتوجيه أتباعهم التوجيه الديني العالي . وكل الثورات التي حدثت في عصرهم من العلويين وغيرهم لم تكن عن اشارتهم ورغبتهم ، بل كانت كلها مخالفة صريحة لأوامرهم وتشديداتهم ، فانهم كانوا أحرص على كيان الدولة الإسلامية من كل أحد حتى من خلفاء بني العباس أنفسهم .

وكفى أن نقرأ وصية الامام موسى بن جعفر عليه السلام لشيعته : (لا تذلوا رقابكم بترك طاعة سلطانكم ، فان كان عادلاً فاسألوا الله بقاءه ، وان كان جائراً فاسألوا الله إصلاحه ، فان صلاحكم في صلاح سلطانكم ، وان السلطان العادل بمنزلة الوالد الرحيم ، فأحبوا له ما تحبون لأنفسكم ، واكرهوا له ما تكرهون لأنفسكم)[1] .

وهذا غاية ما يوصف في محافظة الرعية على سلامة السلطان أن

---

(١) الوسائل في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الباب ١٧ .

يحبوا له ما يحبون لأنفسهم ، ويكرهوا له ما يكرهون لها .

وبعد هذا ، فما أعظم تجني بعض كتاب العصر ، إذ يصف الشيعة بأنهم جمعية سرية هدامة ، أو طائفة ثورية ناقمة . صحيح أن من خلق الرجل المسلم المتبع لتعاليم آل البيت عليهم السلام . بغض الظلم والظالمين ، والانكماش عن أهل الجور والفسوق ، والنظرة إلى أعوانهم وأنصارهم نظرة الاستنكار والاستحقار ، وما زال هذا الخلق متغلغلاً في نفوسهم يتوارثونه جيلاً بعد جيل . ولكن مع ذلك ليس من شيمتهم الغدر والختل ، ولا من طريقتهم الثورة والانتفاض على السلطة الدينية السائدة باسم الإسلام ، لا سراً ولا علناً ، ولا يبيحون لأنفسهم الاغتيال أو الوقيعة بمسلم مهما كان مذهبه وطريقته ، أخذاً بتعاليم أئمتهم عليهم السلام ، بل المسلم الذي يشهد الشهادتين ، مصون المال محقون الدم ، محرم العرض لا يحل مال أمرئ مسلم إلا بطيب نفسه ، بل المسلم أخو المسلم عليه من حقوق الأخوة لأخيه ما يكشف عنه البحث الآتي :

* * *

٤٢ ـ عقيدتنا في حق المسلم على المسلم

ان من أعظم وأجمل ما دعا إليه الدين الإسلامي هو التآخي بين المسلمين على إختلاف طبقاتهم ومراتبهم ومنازلهم . كما أن من أخس ما صنعه المسلمون اليوم وقبل اليوم هو تسامحهم بالأخذ

بمقتضيات هذه الأخوة الإسلامية .

لأن من أيسر مقتضياتها - كما سيجيء في كلمة الامام الصادق عليه السلام - أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه ويكره لله ما يكره لنفسه .

أنعم النظر وفكر في هذه الخصلة اليسيرة في نظر آل البيت عليهم السلام ، فستجد أنها من أشق ما يفرض طلبه من المسلمين اليوم ، وهم على مثل هذه الأخلاق الموجودة عندهم البعيدة عن روحية الإسلام ، فكر في هذه الخصلة لو قدر للمسلمين أن ينصفوا أنفسهم ويعرفوا دينهم حقاً ويأخذوا بها فقط أن يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه - لما شاهدت من أحد ظلماً ولا إعتداء ، ولا سرقة ولا كذباً ، ولا غيبة ولا نميمة ، ولا تهمة بسوء ولا قدحاً بباطل ، ولا إهانة ولا تجبراً .

بل : إن المسلمين لو وفقوا لادراك أيسر خصال الأخوة فيما بينهم وعملوا بها لأرتفع الظلم والعدوان من الأرض ، ولرأيت البشر إخواناً على سرر متقابلين قد كملت لهم أعلى درجات السعادة الاجتماعية ولتحقق حلم الفلاسفة الأقدمين في المدينة الفاضلة ، فما إحتاجوا حينما يتبادلون الحب والمودة إلى الحكومات والمحاكم ، ولا إلى الشرطة والسجون ، ولا الى قانون للعقوبات وأحكام للحدود والقصاص ، ولما خضعوا لمستعمر ولا خنعوا لجبار ، ولا إستبد بهم الطغاة ، ولتبدلت الأرض غير الأرض وأصبحت جنة النعيم و دار السعادة .

أزيدك ، ان قانون المحبة لو ساد بين البشر ، كما يريده الدين بتعاليم الأخوة ـ لانمحت من قاموس لغاتنا كلمة (العدل) ، بمعنى انا لم نعد نحتاج إلى العدل وقوانينه حتى نحتاج إلى إستعمال كلمته بل كفانا قانون الحب لنشر الخير والسلام ، والسعادة والهناء ، لأن الانسان لا يحتاج إلى إستعمال العدل ولا يطلبه القانون منه إلا اذا فقد الحب فيمن يجب أن يعدل معه ، أما فيمن يبادله الحب كالولد والأخ انما يحسن اليه ويتنازل له عن جملة من رغباته فبدافع من الحب والرغبة عن طيب خاطر ، لا بدافع العدل والمصلحة .

وسر ذلك أن الإنسان لا يحب إلا نفسه وما يلائم نفسه ، ويستحيل أن يحب شيئاً أو شخصاً خارجاً عن ذاته إلا إذا إرتبط به ، وإنطبعت في نفسه منه صورة ملائمة مرغوبة لديه . كما يستحيل أن يضحي بمحض إختياره له ، في رغباته ومحبوباته لأجل شخص آخر لا يحبه ولا يرغب فيه ، إلا إذا تكونت عنده عقيدة أقوى من رغباته مثل عقيدة حسن العدل والاحسان . وحينئذ إذ يضحي بإحدى رغباته إنما يضحي لأجل رغبة أخرى أقوى كعقيدته بالعدل إذا حصلت التي تكون جزءاً من رغباته ، لا بل جزءاً من نفسه .

وهذه العقيدة المثالية لأجل أن تتكون في نفس الإنسان تتطلب منه أن يسمو بروحه على الاعتبارات المادية ، ليدرك المثال الأعلى في العدل والاحسان إلى الغير ، وذلك بعد أن يعجز أن يتكون في

نفسه شعور الأخوة الصادق والعطف بينه وبين أبناء نوعه .

فأول درجات المسلم التي يجب أن يتصف بها هي أن يحصل عنده الشعور بالأخوه مع الآخرين ، فإذا عجز عنها ـ وهو عاجز على الأكثر لغلبة رغباته الكثيرة وأنانيته ـ فعليه أن يكون في نفسه عقيدة في العدل والاحسان إتباعاً للارشـادات الإسـلامية ، فإذا عجز عن ذلك فلا يستحق ان يكون مسلماً إلا بالاسم وخرج عن ولاية الله ، ولم يكن لله فيه نصيب على حد التعبير الآتي للإمام . والإنسان على الأكثر تطغى عليه شهواته العامة فيكون من أشق ما يعانيه أن يهيىء نفسه لقبول عقيدة العدل ، فضلاً عن أن يحصل عليها عقيدة كاملة تفوق بقوتها على شهواته .

فلذلك كان القيام بحقوق الأخوة من أشق تعاليم الدين إذا لم يكن عند الإنسان ذلك الشعور الصادق بالأخوة . ومن أجل هذا أشفق الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام أن يوضح لسائلـه أكثر مما ينبغي أن يوضح له خشية أن يتعلم ما لا يستطيع أن يعمل به . قال المعلى[1] .

قلت له : ما حق المسلم على المسلم ؟

قال أبو عبد الله : له سبع حقوق وواجبات . . ما منهن حق إلا وهو عليه واجب ، ان ضيع منهـا شيئـاً خرج من ولاية الله وطاعته ، ولم يكن لله فيه نصيب .

---

(١) راجع الوسائل ، كتاب الحج ، أبواب أحكام العشرة ، الباب ١٢٢ الحديث ٧ .

قلت له : جعلت فداك ! وما هي ؟

قال : يا معلى إني عليك شفيق ، أخاف أن تضيع ولا تحفظ ، وتعلم ولا تعمل .

قلت : لا قوة إلا بالله .

وحينئذ ذكر الامام الحقوق السبعة بعد أن قال عن الأول منها : (أيسر حق منها أن تحب له كما تحب لنفسك ، وتكره له ما تكره لنفسك) .

يا سبحان الله ! هذا هو الحق اليسير ! فكيف نجد ـ نحن المسلمين اليوم ـ يسر هذا الحق علينا ؟ شاهت وجوه تدعي الإسلام ولا تعمل بأيسر ما يفرضه من حقوق . والأعجب أن يلصق بالإسلام هذا التأخر الذي أصاب المسلمين ، وما الذنب إلا ذنب من يسمون أنفسهم بالمسلمين ، ولا يعملون بأيسر ما يجب أن يعملوه من دينهم .

ولأجل التاريخ فقط ، ولنعرف أنفسنا وتقصيرها ، أذكر هذه الحقوق السبعة التي أوضحها الامام عليه السلام :

١ ـ أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك ، وتكره له ما تكره لنفسك .

٢ ـ أن تتجنب سخطه ، وتتبع مرضاته ، وتطيع أمره .

٣ ـ تعينه بنفسك ، ومالك ، ولسانك ويدك ، ورجلك .

٤ ـ أن تكون عينه ، ودليله ، ومرآته .

٥ ـ أن لا تشبع ويجوع ، ولا تروى ويظمأ ، ولا تلبس ويعرى .

٦ ـ أن يكون لك خادم وليس لأخيك خادم ، فواجب أن تبعث خادمك ، فتغسل ثيابه ، وتصنع طعامه ، وتمهد فراشه .

٧ ـ أن تبر قسمه ، وتجيب دعوته ، وتعود مريضه ، وتشهد جنازته . وإذا علمت له حاجة تبادره إلى قضائها ، ولا تلجئه إلى أن يسألكها ، ولكن تبادره مباشرة .

ثم ختم كلامه عليه السلام بقوله :

(فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته ، وولايته بولايتك)

وبمضمون هذا الحديث روايات مستفيضة عن أئمتنا ، جمع قسماً كبيراً منها كتاب الوسائل في أبواب متفرقة .

وقد يتوهم المتوهم أن المقصود بالأخوة في أحاديث أهل البيت عليهم السلام خصوص الأخوة بين المسلمين الذين من أتباعهم (شيعتهم خاصة) . . ولكن الرجوع إلى رواياتهم كلها يطرد هذا الوهم ، إذ كانوا من جهة أخرى يشددون النكير على من يخالف طريقتهم ولا يأخذ بهداهم ، ويكفي أن تقرأ حديث معاوية بن وهب[1] . . قال :

---

(١) أصول الكافي ، كتاب العشرة ، الباب الأول . فهي أرفع من هذه الأخوة الإسلامية ، وقد سمعت بعض .

(قلت له ـ أي الصادق عليه السلام ـ : كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وبين خلطائنا من الناس ممن ليسوا على أمرنا . فقال : تنظرون إلى أئمتكم الذين تقتدون بهم فتصنعون ما يصنعون . فوالله انهم ليعودون مرضاهم ، ويشهدون جنائزهم ، ويقيمون الشهادة لهم وعليهم ، ويؤدون الأمانة إليهم) .

أما الأخوة التي يريدها الأئمة عليهم السلام من أتباعهم الأحاديث في فصل تعريف الشيعة . ويكفي أن تقرأ هذه المحاورة بين أبان بن تغلب وبين الصادق عليه السلام من حديث أبان نفسه[1] . قال أبان : كنت أطوف مع أبي عبد الله فعرض لي رجل من أصحابنا كان سألني الذهاب معه في حاجته ، فأشار إليّ ، فرآنا أبو عبد الله .

قال : يا أبان إياك يريد هذا ؟

قلت : نعم !

قال : هو على مثل ما أنت عليه ؟

قلت : نعم !

قال : فاذهب إليه واقطع الطواف .

قلت : وان كان طواف الفريضة .

---

(١) راجع الوسائل كتاب الحج ، أبواب العشرة ، الباب ١٢٢ ، الحديث ١٦ .

قال : نعم .

قال أبان : فذهبت ، ثم دخلت عليه بعد ، فسألته عن حق المؤمن . فقال : دعه لا ترده ! فلم أزل أرد عليه حتى قال : يا أبان تقاسمه شطر مالك ، ثم نظر إلي فرأى ما داخلني فقال : يا أبان أما تعلم أن الله قد ذكر المؤثرين على أنفسهم ؟ قلت : بلى ، قال : إذا أنت قاسمته فلم تؤثره إنما تؤثره إذا أنت أعطيته من النصف الآخر !

(أقول) : إن واقعنا المخجل لا يطمعنا أن نسمي أنفسنا بالمؤمنين حقاً . فنحن بواد وتعاليم أئمتنا عليهم السلام في واد آخر . وما داخل نفس أبان يداخل نفس كل قارئ لهذا الحديث ، فيصرف بوجهه متناسياً له كأن المخاطب غيره ، ولا يحاسب نفسه حساب رجل مسؤول .

* * *

الفصل الخامس

المعـــــاد

٤٣ ـ عقيدتنا في البعث والمعاد

نعتقد أن الله تعالى يبعث الناس بعد الموت في خلق جديد في اليوم الموعود به عباده ، فيثيب المطيعين ويعذب العاصين ، وهذا أمر على جملته وما عليه من البساطة في العقيدة اتفقت عليه الشرائع السماوية والفلاسفة ، ولا محيص للمسلم من الاعتراف به عقيدة قرآنية جاء بها نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، فإن من يعتقد بالله إعتقاداً قاطعاً ، ويعتقد كذلك بمحمد رسولاً منه أرسله بالهدى ودين الحق ، لا بد أن يؤمن بما أخبر به القرآن الكريم من البعث والثواب والعقاب والجنة والنعيم والنار والجحيم . وقد صرح القرآن بذلك ولمح اليه بما يقرب من ألف آية كريمة .

وإذا تطرق الشك في ذلك إلى شخص ، فليس إلا لشك يخالجه في صاحب الرسالة أو وجود خالق الكائنات أو قدرته ، بل ليس إلا لشك يعتريه في أصل الأديان كلها وفي صحة الشرائع جميعها .

* * *

٤٤ ـ عقيدتنا في المعاد الجسماني

وبعد هذا ، فالمعاد الجسماني بالخصوص ضرورة من

ضرورات الدين الإسلامي ، دل صريح القرآن الكريم عليها (أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ، بلى قادرين على أن نسوي بنانه) « القيامة : ٣ » (وان تعجب فعجب قولهم أإذا كنا تراباً انا لفي خلق جديد) « الرعد : ٥ » (أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد) « ق : ١٤ » .

وما المعاد الجسماني على إجماله إلا إعادة الإنسان في يوم البعث والنشور ببدنه بعد الخراب ، وإرجاعه إلى هيئته الأولى بعد أن يصبح رميماً . ولا يجب الاعتقاد في تفصيلات المعاد الجسماني أكثر من هذه العقيدة على بساطتها التي نادى بها القرآن ، وأكثر مما يتبعها من الحساب والصراط والميزان والجنة والنار والثواب والعقاب بمقدار ما جاءت به التفصيلات القرآنية .

(ولا تجب المعرفة على التحقيق التي لا يصلها إلا صاحب النظر الدقيق ، كالعلم بأن الأبدان هل تعود بذواتها أو إنما يعود ما يماثلها بهيئات ؟ وأن الأرواح هل تعدم كالأجساد أو تبقى مستمرة حتى تتصل بالأبدان عند المعاد ؟ وأن المعاد هل يختص بالانسان أو يجري على كافة ضروب الحيوان ؟ وأن عودها بحكم الله دفعي أو تدريجي . وإذا لزم الاعتقادُ بالجنة والنار لا تلزم معرفة وجودهما الآن ولا العلم بأنهما في السماء أو الأرض أو يختلفان . وكذا إذا وجبت معرفة الميزان لا تجب معرفة أنها ميزان معنوية أو لها كفتان ، ولا تلزم معرفة أن الصراط جسم دقيق أو هو الاستقامة المعنوية .

والغرض أنه لا يشترط في تحقيق الإسلام معرفة أنها من الأجسام . .)[1] .

نعم إن تلك العقيدة في البعث والمعاد على بساطتها هي التي جاء بها الدين الإسلامي ، فإذا أراد الإنسان أن يتجاوزها إلى تفصيلها بأكثر مما جاء في القرآن ؛ ليقنع نفسه دفعاً للشبه التي يثيرها الباحثون والمشككون بالتماس البرهان العقلي أو التجربة الحسية ، فانه إنما يجني على نفسه ويقع في مشكلات ومنازعات لا نهاية لها . وليس في الدين ما يدعو إلى مثل هذه التفصيلات التي حشدت بها كتب المتكلمين والمتفلسفين ، ولا ضرورة دينية ولا إجتماعية ولا سياسية تدعو إلى أمثال هاتيك المشاحنات والمقالات المشحونة بها الكتب عبثاً ، والتي إستنفدت كثيراً من جهود المجادلين وأوقاتهم وتفكيرهم) بلا فائدة .

والشبه والشكوك التي تثار حول تلك التفصيلات يكفي في ردها قناعتنا بقصور الإنسان عن إدراك هذه الأمور الغائبة عنا والخارجة عن أفقنا ومحيط وجودنا والمرتفعة فوق مستوانا الأرضي ، مع علمنا بأن الله تعالى العالم القادر أخبرنا عن تحقيق المعاد ووقوع البعث ، وعلوم الإنسان وتجريباته وأبحاثه يستحيل أن تتناول شيئاً لا يعرفه ولا يقع تحت تجربته وإختياره إلّا بعد موته وإنتقاله من هذا العالم عالم الحس والتجربة والبحث . فكيف

---

(١) مقتبس من كتاب كشف الغطاء ، ص ٥ ، للشيخ الكبير كاشف الغطاء .

ينتظر منه أن يحكم باستقلال تفكيره وتجربته بنفـي هذا الشيء أو إثباته ، فضـلاً عن أن يتنـاول تفاصيلـه وخصوصياتـه ، إلا إذا إعتمد على التكهن والتخمين أو على الاستبعاد والإستغراب ، كما هو من طبيعة خيال الإنسان أن يستغرب كل ما لم يألفه ولم يتناوله علمه وحسه ، كالقائل المندفع بجهله لاستغراب البعـث والمعـاد (من يحيي العظام وهي رميم . ولا سند لهذا الاستغراب إلا أنه لم ير ميتـاً رميماً قد أعيدت له الحياة من جديد ، ولكنــه ينسى هذا المستغرب كيف خلقت ذاته لأول مرة ، ولقد كان عدماً ، وأجزاء بدنه رميماً تألفت من الأرض وما حملت ومن الفضاء وما حوى من هنا وهنا ، حتى صار بشراً سوياً ذا عقل وبيان (أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه) .

يقال لمثل هذا القائل الذي نسى خلق نفسه : (يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) . يقال له : إنك بعد أن تعترف بخالق الكائنات وقدرته وتعترف بالرسول وما أخبر به ، مع قصور علمك حتى عن إدراك سر خلق ذاتك وسر تكوينك ، وكيف كان نموك وإنتقالك من نطفة لا شعور لها ولا إرادة ولا عقل إلى مراحل متصاعدة مؤ تلفاً من ذرات متباعدة ، لىبلغ بشراً سوياً عاقلاً مدبراً ذا شعـور وإحسـاس . يقـال له : بعـد هذا كيف تستغرب أن تعود لك الحياة من جديد بعد أن تصبح رميماً ، وأنت بذلك تحاول أن تتطاول إلى معرفة ما لا قبل لتجاربك وعلومك بكشفه ؟

يقال له لا سبيل حينئذ إلا أن تذعن صاغراً للاعتراف بهـذه الحقيقة التي أخبر عنها مدبر الكائنات العالم القدير وخالقك من العدم والرميم . وكل محاولة لكشف ما لا يمكن كشفه ولا يتناوله علمك فهي محاولة باطلـة ، وضرب في التيه ، وفتـح للعيون في الظلام الحالك .

إن الإنسان مع ما بلغ من معرفة في هذه السنين الأخـيرة ، فاكتشف الكهرباء والـرادار وإستخـدم الـذرة ، إلى أمثـال هذه الاكتشافات التي لو حدث عنها في السنين الخوالي لعدها من أول المستحيلات ، ومن مواضع التندر والسخرية أنه مع كل ذلك لم يستطع كشف حقيقة الكهرباء ولا سر الذرة ، بل حتـى حقيقـة احدى خواصهما وأحد أوصافهما . فكيف يطمـع أن يعـرف سر الخلقة والتكوين ، ثم يترقى فيريد أن يعرف سر المعاد والبعث .

نعم ينبغي للإنسان بعد الإيمان بالإسلام أن يتجنب عن متابعة الهوى ، وأن يشغل فيما يصلح أمر آخرته ودنياه ، وفيما يرفع قدره عند الله ، وأن يتفكر فيما يستعين به على نفسه ، وفيما يستقبله بعد الموت من شدائد القبر والحساب بعد الحضـور بـين يدي الملك العلام ، وأن يتقي يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون .

* * *

أهم مصادر الكتاب

١ ـ نهج البلاغة ـ الطبعة المصرية .

٢ ـ الصحيفة السجادية .

٣ ـ أصول الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني المتوفي ٣٢٨ .

٤ ـ تحف العقول للحسن بن علي بن شعبة من علماء القرن الرابع .

٥ ـ كامل الزيارات لجعفر بن قولويه المتوفي ٣٦٩ .

٦ ـ إعتقادات الصدوق المتوفي ٣٨١ .

٧ ـ أوائل المقالات للشيخ المفيد المتوفي ٤١٣ .

٨ ـ شرح عقائد الصدوق للشيخ المفيد أيضاً .

٩ ـ التجريد للخواجا نصير الدين الطَوسي المتوفي ٦٧٣ .

١٠ ـ شرح التجريد للعلامة الحلي المتوفي ٧٢٦ .

١١ ـ شرح الباب الحادي عشر للفاضل المقداد السيوري المتوفي ٨٢٦ .

١٢ ـ الوسائل للحر العاملي المتوفي ١١٠٤ .

١٣ ـ إعتقادات المجلسي المتوفي ١١١٠ .

١٤ ـ أصول العقائد من كتاب كشف الغطاء للشيخ جعفر الكبير المتوفي ١٢٢٧ .

١٥ ـ أصل الشيعة وأصولها للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء المتوفي ١٣٧٣ .

١٦ ـ دلائل الصدق للشيخ محمد حسن المظفر المتوفي سنة ١٣٧٥ .

١٧ ـ السقيفة ـ للمؤلف .

فهرس عقائد الامامية

المقدمة في الاجتهاد والتقليد

الفصل الثاني ـ النبوة

الفصل الثالث ـ الامامة

الفصل الرابع
ما أدب به آل البيت شيعتهم